هكذا تكون سعيداً

الـــكــــــتـــاب:	هكذا تكون سعيداً
الـــمـــؤلـــف:	الشيخ د. أكرم بركات
الـــنـــاشـــر:	بيت السراج للثقافة والنشر
ر ســــــــو م :	علي أكرم بركات
الطبعة الثامنة:	بيروت ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧م

هكذا تكون سعيداً

الشيخ د. أكرم بركات

بسم الله الرحمن الرحيم



قضايا تلامس حاجة الناس في الفكر والسلوك

وتضيء على طريق سعادة الإنسان،

وتوضّح برنامجها تناولها الشيخ د. أكرم بركات

على منبر مسجد القائم عجّل الله فرجه الشريف في الضاحية الجنوبيّة

لبيروت ثمّ ألبسها ثوبَ الكلمات المكتوبة

بين يديك عسى أن تكون محلاًّ للقبول.

المقدَّمة



والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى محمد وآله الطاهرين.

جرت العادة في كل سنة أن أختار موضوعاً لأتناوله في أيام شهر رمضان أوزّعه سلسلة بين أيامه المباركة في مسجد القائم عجل الله فرجه الشريف في الضاحية الجنوبية لبيروت.

وهذه السنة وجدت نفسي منساقة نحو اختيار موضوع يتعلّق بأمر أصبح الابتلاء به في دائرة واسعة من الناس، أو أنّ الإفصاح عنه وسعت دائرته بعد أن كانت مكتومة في كثير من الحالات بخلفية الحياء والخوف من نظرة المجتمع.

إنَّـه موضوع يتعلّق بالجانب النفسي، بالشعور بالهمّ والحزن والكآبة التي يعاني منها الكثير من الناس بنسب متفاوتة، مما يبعدهم عن الشعور بالسعادة والغبطة والسرور.

إنَّه ما دعاني إلى أن أحاول في هذه السلسلة أن أقارب الطرح الديني في السبيل الذي يوصل الإنسان إلى سعادته.

وكما هو حال سائر كتيبات سلسلة على منبر القائم عجّل الله فرجه الشريف اعتمدت في هذا الكتيب إبقاء السلاسة التي ألقيت فيها هذه الكلمات، فليس الهدف منه البحث العلمي، إنما هو محاولة لإيصال أهلنا الأحباء -لا سيَّما شبابنا- إلى الاعتصام بحبل اللّه عزّ وجلَّ الذي يُصعد الإنسان نحو طموحه الكماليّ وسعادته المنشودة.

أكرم بركات

شهر شوال ١٤٣٢ هـ - بيروت

أُمنيَّة كلّ إنسان

ما هي أُمنيَّة كلّ إنسان؟

مهما كان معتقده: مسلماً، مسيحياً، يهودياً، بوذيّاً، أو غير منتمٍ إلى أية عقيدة،

مهما كان عمره: طفلاً، شاباً أو عجوزاً،

مهما كان جنسه: ذكراً أو أنثى،

مهما كانت حالته الاجتماعية: فقيراً، غنياً، مشهوراً، مغموراً، رئيساً، مرؤوساً،

في أيِّ زمان كان: من بداية البشرية إلى منتهاها.

في أي مكان كان: في شرق الأرض، أو غربها، أو شمالها، أو جنوبها،

إنها باختصار: السعادة.

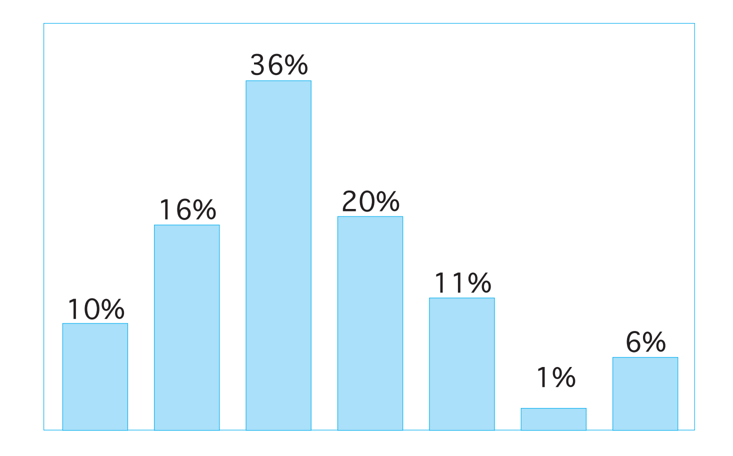
فكلّ إنسان يحبُّ ويسعى ليكون سعيداً في حياته. لكن كم هي نسبة السعداء من الناس؟

أيها القارئ الحبيب، حدِّد نسبة سعادتك من خلال اختيار الرسم الملائم لحالك من بين الرسوم التالية:

ثم اقرأ معي هذه الدراسة[١] التي أُجريت في لبنان على عيّنات لهم الخصائص التالية:

الخصائص	الحالات والنسب				
الجنس	إناث ٣٧٪	ذكور ٦٣٪			
العمر (سنة)	١٠–٢٠ ١٤٪	٢٠–٣٠ ٣٧٪	٣٠–٤٠ ١٧٪		
مكان الإقامة	المدينة ٨٣ ٪	الريف ١٧ ٪			
المستوى التعليمي	جامعي ٦٢٪	ثانوي ٢٤٪	مهني ٤٪		
	ابتدائي ٧٪	ملمّ بالقراءة والكتابة ١٪	أمي ٢٪		
العمل	موظف ٥١٪	يعمل لحسابه ١٧٪	ربّ عمل ٤٪	لا ينطبق ٢٨٪	
الوضع المعيشي	وسط ٥٠٪	جيد ٢٨٪	دون الوسط ١٧٪	متدن ٣ ٪	مترف ٢٪
الحالة الاجتماعية	متزوّج ٤٨٪	عازب ٤٦ ٪	مطلق ٤٪	أرمل ١٪	مساكن ١٪

(١) أجرى هذه الدراسة المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق بطلب من برنامج «إلى القلب» الذي عرضه تلفزيون المنار عام ٢٠٠٩م.



وكانت النتيجة:









لاحظ أن النتيجة الإجمالية هي:

- **المائلون إلى السعادة:** ١٨٪
- **المائلون إلى عدم السعادة:** ٦٢٪
- **الوسطيون:** ٢٠٪

وعند مراجعة دراسات أُجريت في بلدان العالم الأخرى كان يبدو بوضوح أن غير السعداء هم النسبة الكبرى،

وهذا ما استدعى بعض الدول إلى تأسيس معاهد لتعليم أصول السعادة.

فقد نشرت جريدة السفير عن وكالة رويترز في تقرير لها عن معهد «السعادة» في أستراليا بأنه يتقاضى ١٤٠ دولاراً في الساعة الواحدة مقابل دروس في كيفية الشعور بالسعادة. وقد ذكر التقرير أن هناك شركات تنفق ما يصل إلى ستة آلاف دولار استرالي في نصف يوم من أجل ورش عمل لتعليم موظفيها أصول السعادة[١].

(١) جريدة السفير، ٣٠ حزيران، ٢٠٠٤م.

اتجاهات الناس نحو السعادة

لقد بحث الناس عن سعادتهم في أمور شتَّى فسعوا لتحصيلها جاهدين؛ لعلّهم يصلون إلى السعادة المبتغاة. ولكن النتيجة لم تكن كما توقعوا.

وإليك النماذج الآتية:

المال والسعادة

لن أكون غير واقعي لأنفي دور المال في تحصيل السعادة. نعم المال قد يحصِّل السعادة. لكن الكلام في نسبة السعادة التي قد يحصّلها المال.

ينقل التقرير السابق عن خبراء أن نسبة١٥ ٪ من السعادة فقط تأتي من الدَّخْل والأُصول والعوامل المالية، فيما ٨٥٪ من السعادة لها مصادر أُخرى.

وفي كتاب خبير الاقتصاد الأمريكي بول زان بيلزر «ثورة العافية» يقول: «مع أنَّ أغلب الناس الآن أفضل مالياً كثيراً مما كان عليه آباؤهم وأجدادهم، فإنَّ مستويات السعادة لم تتغير... وتظهر الدراسات أنَّه بمجرَّد توافر الاحتياجات الأساسية مثل المأوى والطعام، فإنَّ المزيد من المال لا يضيف سوى القليل من السعادة»[١].

ويقول الخبير الاستراتيجي جيمس مونتيه: «طائفة عريضة من الأفراد يبالغون كثيراً في أهمية دور المال في تحقيق السعادة لهم وللآخرين... منذ الخمسينيات ومستويات سعادة الناس كما هي لم تتغيَّر بصورة ملحوظة، رغم النمو الكبير في دخل الفرد خلال الفترة نفسها»[٢].

الشهرة والسعادة

ولأنَّ المال لا يروي ظمأ الباحث عن السعادة، نُلاحظ أن أصحاب الأموال يتجهون نحو تحصيل أمر آخر لعلّهم

(١) المرجع نفسه.
(٢) المرجع نفسه.

يروون ظمأهم به ويصلون إلى السعادة المبتغاة من خلاله. وقد يكون ما يرون فيه إرواءً لهذا الظمأ هو الشهرة والجاه.

ولعلّه لأجل ذلك نجد كثيراً من الأغنياء ينفقون الأموال الطائلة على أمور تشدُّ أنظار الناس إليهم ليكون لهم الوجاهة والشهرة، فيقيمون الحفلات والولائم، وينشئون المشاريع الجاذبة لأنظار الناس لأجل وجاهة وشهرة يريدون بِهِما سعادة يسعون إليها.

نعم قد يشعر هؤلاء بلذَّة ومتعة لحظية في ما يفعلون، إلاَّ أنهم لا يجدون السعادة المبتغاة.

وممّا يؤشِّر إلى ذلك دراسة علمية نشرتها مجلة إنكليزية مختصّة بالطب النفسي تبيّن وجود اكتئاب وقلق وعدم سعادة يعاني منها الكثير من مشاهير العالم، وفي النسب ذكرت المجلة التصنيف التالي للمشاهير المكتئبين:

- ٧٢٪ من الكتَّاب الروائيين.
- ٤١٪ من الفنانين.
- ٣٤ ٪ من الموسيقيين.

كما ذَكَرت المجلّة أنّ عدداً من هؤلاء انتحر، وعدداً آخر أُدخل المصحَّات النفسية.

ومن تصريحات هؤلاء قول الأديب الألماني جوته عن حياته: «لم تكن إلا ألماً وعبئاً»

السلطة والسعادة

ولعلّه لما تقدّم لا يكتفي من وصل إلى الجاه والشهرة بما وصل إليه، فيسعى نحو أمرٍ آخر يبتغي من خلاله سعادته، وقد يكون هذا الأمر هو السلطة والحكم، فلعلّهما يرويان ظمأ ذلك الغني المشهور، فتجده يسعى بكلّه للوصول إلى الحكم، وحينما يصل إليه لا يتروى ظمؤه رغم تمسّكه بما وصل إليه من سلطة، لذا يحاول أن يتوسّع في سلطته ويتوسَّع، ولكن كما يقول أحد الحكماء: «لو ملك الإنسان الأرض، لنظرت عيناه إلى السماء».

وعن تجربة هؤلاء الحكّام تنقل المجلة السابقة أنَّ ٤١٪ من السياسيين المشهورين في العالم يعانون من الاكتئاب

والقلق والشعور بعدم السعادة.

وقد عبّر وينستون تشرشل عن هذا الأمر قبيل وفاته بقوله: «لقد أنجزت الكثير، ولكنني لم أكسب في النهاية شيئاً».

السعادة في أمور أخرى

يمكن لي أنّ استمر في ذكر ما يسعى الإنسان لتحصيل السعادة من خلاله مع التعليق على كلٍّ منها مع محاولة المقاربة لنسبة السعادة التي تحقّقها ومداها الزمني.

وفي هذا الإطار ذكر البعض أموراً عديدة على أنّها مولّدات للسعادة من قبيل ما يمكن صياغته في النصائح التالية:

١. قارن نفسك بمن هم أقلّ منك.
٢. لا تنشغل بالماضي.
٣. تفاعل مع يومك يوماً بيوم.
٤. اترك المستقبل حتى يأتي.
٥. لا تنتظر شكراً من أحد.

٦. اطرد الفراغ بالعمل.

٧. اقبل الحياة كما هي.

٨. تعزَّ بأهل البلاء.

٩. لا تُحطّمك التوافه.

١٠. ارضَ بما قسم اللّه لك.

المكمن الرئيسي للسعادة

وهذه الأمور كما غيرها قد يكون لكلٍّ منها دور في تحقيق نسبة من السعادة بغضّ النظر عن النقاش في إيجابيّتها، إلا أني سأنتهج نهجاً آخر للوصول إلى مكمن السعادة الرئيسي، والذي قد يتَّضح من خلال الأجوبة عن الأسئلة:

س: كيف تسعد العين؟

الجواب: بالنظر إلى الجمال.

س: كيف يسعد الأنف؟

الجواب: بشمّ العطر.

س: كيف يسعد اللسان؟

الجواب: بذوق الطيِّب من الطعام والشراب.

س: كيف تسعد الأذن؟

الجواب: بسماع الصوت الجميل.

فالملاحظ أنّ لكل حاسة سعادتها ولذتها الخاصة، إلا أن هذه اللذّة تنتفي حينما يكون الإنسان في غمٍّ وكآبة وحزن، فحينها لا العين تلتذّ بأبهى مشهد تنظر إليه، ولا الأنف يلتذّ بأفضل عطر يشمّه، ولا اللسان يلتذّ بأطيب طعم يذوقه، ولا الأذن تلتذّ بأجمل نغمة تسمعها.

كلُّ ذلك لأن هناك شيئاً في الإنسان عرضت له الكآبة والغمّ والحزن، ألا وهو القلب، وعليه فلا سعادة حقيقية لأيّة حاسّة من دون أن يسعد القلب، فهو مركز السعادة الحقيقية، وهذا ما يبرز أهمية السؤال التالي:

كيف يسعد القلب؟

ولعلّ التأمّل في معنى القلب يرشد إلى الجواب الصحيح، فالقلب -الذي هو ذلك الكائن الداخلي الذي قد يكون عين النفس سُمِّي- قلباً لأنّه يتقلَّب وتقلُّبه هذا هو الذي يجعل

الإنسان في حالة اضطراب وقلق وبالتالي غير سعيد.

وعليه فسعادة القلب حينما يثبت ويستقرّ ويطمئنّ بدون تقلُّب.

منشأ سعادة القلب = الاطمئنان

والاطمئنان يقارب في معناه الاستقرار، والسكينة، والطمأنينة.

لقد لفتني ما ورد في الدراسة اللبنانية السابقة أنّ العيِّنات حينما سُئلوا عن مفهومهم للسعادة فإنّ أكثرهم أجابوا بالاطمئنان أو ما يقاربه من المعاني بحسب ما يظهر في الجدول الأجوبة التالية:

الجواب	النسبة المئوية
الاطمئنان عن المستقبل	٪٣٦
الرضا عن الحياة	٪٣٢
الشعور بالرضا والإشباع	٪١٤
الشعور بالبهجة والاستمتاع	٪١٤
مختلف	٪٤

والـلافـت فـي الـقـرآن الكريم أنـه استخدم مصطلح الاطمئنان للدلالة على النفس الناجية الفائزة الراضية، والتي تكون سعيدة عند نـداء ربها لها للرحيل عن هذه الدنيا، فقال تعالى:

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى (٢٩) وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾[1].

وهذه النفس هي في مقابل:

١- النفس الأمّارة بالسوء الواردة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[2].

٢- النفس اللوّامة، الـواردة في قوله تعالى: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾[3].

من الواضح أنه ليس هناك أكثر من نفس في الإنسان، بل هي واحدة، إلا أنها - حينما تسيطر عليها قوى الشهوة والغضب والوهم، وتضمحل سيطرة العقل عليها- قد تصل

(١) سورة الفجر- الآيات: ٢٧-٣٠.
(٢) سورة يوسف- الآية: ٥٣.
(٣) سورة القيامة- الآية:٢.

إلـى درجـة سيئة بحيث تصبح هي الآمـرة بالسوء، فتكون في دائرة الشقاء. وقد لا تكون بتلك الدرجة، بل تبقى في حلبة الصراع بين تلك القوى الثلاث وقوة العقل، وحينما تضعف وترضخ للشهوة أو الغضب مثلاً قد يعقب ذلك نداء داخلي ينطلق من ندم على ذلك الفعل القبيح يلومها على ما اقترفت، فتعيش حالة الاضطراب والقلق.

أمّا النفس التي يكون سلطانها العقل والذي يتدبّر كلّ أمر ويدرس كل خطوة فلا يسير إلا في ضوء مصلحة هذه النفس، فلا الشهوةَ هي الآمرة، ولا الوهم والغضب كذلك، بل يأخذ كل منها مجاله الطبيعي الإيجابي الهادف ضمن حكومة العقل وسلطانه، فتكون هذه النفس مستقرة، هادئة، مطمئنة. وهـذا الاطمئنان يبقى مع النفس في كلّ دروب الحياة، لا تزلزله عواصف الابتلاء، ولا تجرفه أمواج النعم.

نماذج من الأنفس المطمئنة

- فها هو خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم رغم كل ما مورس عليه من أذيّة حتى قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما أوذي نبي بمثل ما**

أوذيت»، كان يقول بكل اطمئنان وثبات وهو سائر في مهمته الرسالية: «والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته»[(١)].

- وها هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول بعد ضربة الشهادة على رأسه بكل اطمئنان وثبات: «فزت وربِّ الكعبة»[(٢)].
- وها هو الإمام الحسين بن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ يتقدَّم في العاشر من محرّم نحو الشهادة ساكنةً نفسه هادئةً جوارحه، مشرقاً لونه نوراً وبهاءً، ليوضِّح بذلك ما ورد عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اقرأوا سورة الفجر في فرائضكم ونوافلكم؛ فإنها سورة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وارغبوا فيها رحمكم الله»[(٣)]،

(١) الحسني، هاشم، سيرة المصطفى، (لا، ط)، منشورات دار القلم، بيروت، (لا، ط)، ط٣، ص ١٥٣.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ، ج٤١، ص ٢.
(٣) المصدر السابق، ج٢٤، ص ٩٣.

فسُئل: كيف صارت هذه السورة للحسين عليه السلام خاصة؟ فقال عليه السلام: «ألا تسمع... ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ۝٢٨ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۝٢٩ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾، **إنما يعني الحسين بن علي عليه السلام، فهو ذو النفس المطمئنة الراضية المرضية»**[1]

- وقد أعطَى اللّه تعالى بأنبيائه وعباده الصالحين نماذج من النفس المطمئنة في حالتي الرخاء والبلاء.

أمّا في حالة السرَّاء والرخاء فالنموذج النبوي هو النبي سليمان بن داود عليهما السلام الذي جمع اللّه تعالى له الملك العظيم والملك الواسع، فكانت الرياح تجري بأمره. لكن ذلك لم يؤثر في طمأنينة قلبه، فقد رُوي أنَّه مرَّ بحرَّاث فقال: «**لقد أوتي ابن داود ملكاً عظيماً، فألقاه الريح في أذنه، فنزل ومشى إلى الحرَّاث**»،

(١) المشهدي، محمد، تفسير كنز الدقائق، (لا.ط) قم، ١٤٠٧هـ، ج١١، ص ٣٥٤.

وقال: «إنما مشيت إليك؛ لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه، ثم قال: لَتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما أُوتـي آل داود... لأن ثـواب التسبيحة يبقى، وملك سليمان يفنى».[١].

أمّـا في حالة الضراء والبـلاء فالنموذج النبوي هو النبي أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي كان ذا مالٍ وخير، وصحة وعافية، وأباً لأولاد كثر، فأراد اللّه تعالى أن يُظهر اطمئنان قلب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ واستقراره من دون أن يؤثر في ذلك تبدل النعم، فكان ابتلاؤه الأول بذهاب جميع أمواله، ولكن موقفه من حامل هذا الخبر كان: «إنها ماله أعارنيه، وهو أولى به، إذا شاء تركه وإن شاء نزعه، وقديماً ما وطنت نفسي ومالي على الفناء[٢]...الحمد لله حين أعطاني، وحين نزع مني، عرياناً خرجت من بطن أمي، وعرياناً أعود إلى التراب، وعرياناً أُحشر إلى ربي تعالى»

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج١٤، ص ٨١.
(٢) الجزائري، نعمة اللّه، قصص الأنبياء، (لا،ط)، منشورات الشريف الرضي، قم، (لا،ت)، ص ٢٣٤-٢٣٥.

وبمثل هذا كان جواب نبي اللّه أيوب عليه السلام حينما ابتلي بفقد جميع أولاده فكان شعاره: «هو أرأف بهم من أبيهم وأمهم».

إنَّ سرَّ هذه المشاهد الإنسانية العظيمة في هؤلاء الأنبياء والأولياء هو في اطمئنان قلوبهم، وهذا ما يؤكد أهمية السؤال التالي:

كيف يطمئنّ القلب؟

وأعرض هنا جوابين:

الجواب الأوّل: جواب الفطرة

لقد أجاب البعض بجواب ينطلق من أمر داخلي غرسه اللّه تعالى في كلّ إنسان وفطره عليه، ألا وهو حبُّه للكمال الذي ينتج منه سعيٌ دائم باتجاهه، ويرى هذا البعض أن الوصول إلى الكمال المنشود هو الذي يؤدي إلى السعادة الحقيقية.

وحبُّه للكمال هذا يظهر على الإنسان منذ نعومة أظفاره حيث نجده في تلك المرحلة الطفولية يسعى نحو هدف

يعتقده كماله. ففي ذلك العمر، وحينما يكون الطفل لا يقدر على الحركة مستقلاً فيعتقد أنّ كماله يتحقّق حينما يحبو. لكنه حينما يحبو يعرف أنَّ الحبو لا يحقق كماله، فيسعى نحو المشي، فيمشي على قدمين بعد أن كان يتحرك على أربع. لكنه يدرك حينها أنه لم يصل إلى كماله وسعادته المنشودين، لذا ينشد أمراً آخر قد يظنه النطق والتكلم، فيسعى جاهداً لينطق، فينطق ويتكلّم وقد يصبح فصيحاً بليغاً. لكنه يشعر أنّ نار عشق الكمال والسعادة ما زالت تلتهب في داخله.

قد يظن بعد تلك المرحلة أن كماله يتحقق من خلال الوصول إلى منزلة ومكانة من يعتقده قدوة في حياته، فيصل، بل قد يعلو على تلك المنزلة. لكنه يشعر ببقاء ذلك الظمأ في داخله، ولا يجد الاطمئنان الذي هو علامة للسعادة في قلبه.

فيستمر ساعياً نحو الكمال. وقد يتوجه نحو الأسباب التي مرَّت من مال وجاه وشهرة وسلطة بدون أن يجد ريَّ الطمأنينة في قلبه، وشبع الكمال في نفسه.

ولو كُبِس على زرّ نُطق الفطرة الإنسانية لهؤلاء الناس لسمعناهم يصرخون: «إنّنا عاشقون للكمال، فأين نجده؟»

هنا ينبري شيخ كبير عارف قارئ لحقائق النفس الإنسانية وهو الإمام روح اللّه الموسوي الخمينيقُدِّسَ سِرُّهُ ليجيب هؤلاء بلغته الداخلة إلى القلوب من غير استئذان:

«يا أيّها الهائمون في وادي الحَيْرة، والضائعون في صحارى الضّلالات، بل أيّتها الفراشات الهائمة حول شمعة جمال الجميل المطلق، ويا عشّاق الحبيب الخالي من العيوب، والدائم الأزليّ، عودوا قليلاً إلى كتاب الفطرة، وتصفّحوا كتاب ذاتكم، لتروا أنّ الفطرة الإلهيّة قد كتبت فيها بقلم القدرة ﴿وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾»[1]

أجل، إن الإنسان حينما يرجع إلى فطرته يتعرّف إلى أنّ سعيه كان نحو الكمال المطلق الخالي من كلّ عيب

(١) سورة الأنعام - الآية: ٧٩.

ونقيصة، وأن كلّ ما ظنه كمالاً كان خداعاً.

فالكمال المطلق متحقّق في واحد أحد، ألا وهو اللّه ربُّ العالمين، وأن كمال الإنسان وسعادته لا يتحقّقان إلّا حينما يرتبطان بالكمال المطلق.

الجواب الثاني: جواب القرآن

لقد حدَّد اللّه تعالى في كتابه السبب الحقيقي لاطمئنان القلب بقوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[١] واستفادة من رواية تحكي قصة باحث عن الكمال بعنوان القوّة، صوَّر البعض رحلة بحثه عن القوة الحقيقية لتكون هذه الآية الجواب الشافي عن تساؤل رحلته التي رواها بقوله:

بحثتُ عن أقوى الأشياء فوجدتهُ الحديد.

نظرتُ إلى الحديد فوجدت أن النار تمدِّده، فعلمتُ أن النار أقوى من الحديد.

(١) سورة الرعد- الآية: ٢٨

نظرتُ إلى النار فوجدت أن الماء يطفئها، فعلمتُ أنّ الماء أقوى من النار.

نظرتُ إلى الماء فوجدتُ السحاب ينزله، فعلمتُ أن السحاب أقوى من الماء.

نظرتُ إلى السحاب، فوجدتُ أن الرياح تجرُّه فعلمتُ أن الرياح أقوى من السحاب.

نظرتُ إلى الرياح، فوجدتُ أن الجبال تصدُّها فعلمتُ أن الجبال أقوى من الرياح.

نظرتُ إلى الجبال، فوجدتُ أن الإنسان يعلوها، فعلمتُ أن الإنسان أقوى من الجبال.

نظرتُ إلى الإنسان، فوجدتُ أنَّ النوم يسكتُه، فعلمتُ أن النوم أقوى من الإنسان.

نظرتُ إلى النوم، فوجدتُ أن القلق يذهبُه، فعلمتُ أن القلق أقوى من النوم.

نظرتُ إلى القلق، فوجدتُ أن الاطمئنان يعدمه، فعلمتُ أن الاطمئنان أقوى من القلق.

عندها علمتُ معنى قول ربّي: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾.

واللافت في هذا المقطع القرآني هو تقديم «**بذكر الله**» على الفعل الذي تعلّق به «**تطمئنّ**»، وهو ما يفيد حصراً اطمئنان القلب بذكر الله تعالى فلا يطمئنّ بغيره.

رحلة الإنسان نحو الكمال والإطمئنان بريشة الفطرة والتأمل




أمشي
أحبو
ألهو
أقرأ
أمشي
أحكي


أبحث
أقرأ
أكتب

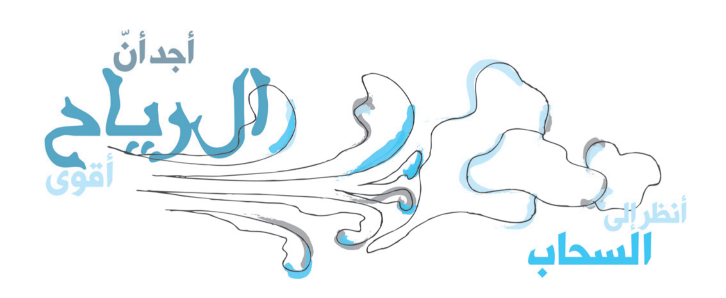

أبحث

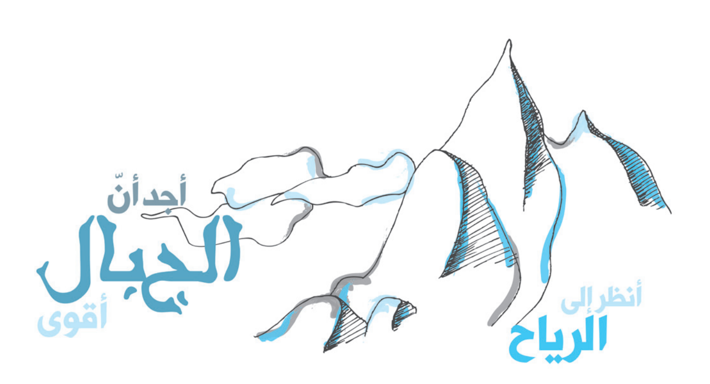

أبحث عن
أقوى الأشياء
أجده
الحديد


أنظر إلى
الحديد
أجد أنّ
النار
أقوى


أجدّ أن
الماء
أقوى
أنظر إلى
النار


أجدّ أن
السحاب
أقوى
أنظر إلى
الماء

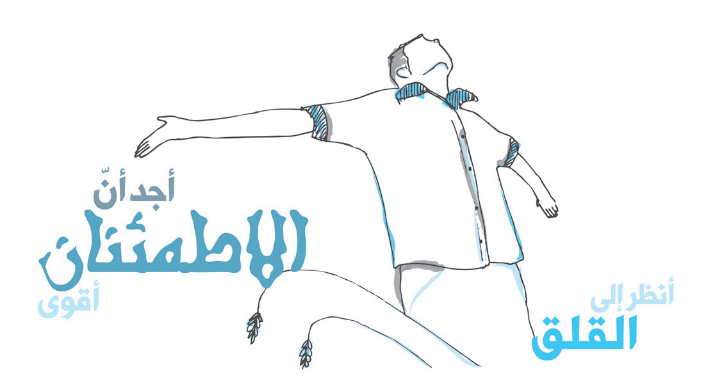

أجد أنّ
الرياح
أقوى
أنظر إلى
السحاب


أجد أنّ
الجبال
أقوى
أنظر إلى
الرياح


أنظر إلى
الجبال
أجد أنّ
الإنسان
أقوى


أنظر إلى
الإنسان
أجد أنّ
النوم
أقوى


أجد أنّ
القلق
أقوى
أنظر إلى
النوم


أجد أنّ
الإطمئنان
أقوى
أنظر إلى
القلق


الآن
أعلم قول ربّي
ألا بذكر اللّه
تطمئنّ القلوب

معنى ذكر اللّٰه تعالى

نقل العلّامة الطريحي في مجمع البيان عن الشيخ أبي علي أن الذِّكر هو حضور المعنى في النفس.

ثمَّ أوضح مفهوم الذِّكر أكثر بتصريحه أنَّ الذِّكر هو نقيض النسيان[١].

بناءً على هذا فإن مفهوم الذِّكر يتضمن معنيين:

١. المعرفة

٢. عدم النسيان

وعليه فإننا سنتحدث عن كلا الأمرين تباعاً لنفهم جيداً معنى ذكر اللّٰه الذي يحقّق الاطمئنان، وبالتالي السعادة.

أ- المعرفة

إنّ معرفة اللّٰه تعالى على مراتب، نذكر منها ثلاثاً:

---

(١) الطريحي، مجمع البحرين، تحقيق أحمد الحسيني، ط٢، قم، مكتبة النشر والثقافة الإسلامية، ١٤٠٨هـ، ج٢، ص ١٠٨٥.

١ - المعرفة الكامنة

فقد فطر الله تعالى كل إنسان على معرفته، لكنها ليست معرفة ذات وضوح وظهور عام، بل هي كامنة مستترة في النفس البشرية، فـ: **«كل مولود يولد على الفطرة، يعني على المعرفة بأن الله عزّ وجل خالقه»**[(١)] كما ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

إنها ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[(٢)]».

نعم قد لا يشعر الإنسان بوجوده تعالى لشدَّة ظهوره، فيكون حاله كحال تلك السمكة التي سمعت يوماً أن الماء هو إكسير الحياة، فبحثت عن الماء فلم تتعرف عليه، وبقيت تبحث عن الماء وهي تسبح فيه متعجبة كيف يكون الماء إكسير الحياة، وهي تشعر بحياتها لكنها لا تشعر بذلك الماء، مع أنَّه يحيط كل كيانها؟!

---

(١) انظر، شبَّر، عبدالله، حق اليقين في معرفة أصول الدين، ط١، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٤هـ، ص ٣٥.
(٢) سورة الروم، الآية ٣٠.

هكذا هو حال الكثير من الناس غير الشاعرين بوجود اللّه تعالى.

وقد تحجب ذنوب الإنسان هذه المعرفة وتسترها عنه إلا أنَّ تلك الحجب والستائر تتمزَّق حينما يقع في ورطة عظيمة يشعر فيها أن نفسه تتوجه نحو شيء قادر على إنقاذه، كحال ذلك الرجل الذي سأل الإمام الصادق عليه السلام عن اللّه تعالى فقال له الإمام عليه السلام: «**يا عبداللّه، هل ركبت سفينة؟ قال: بلى، قال عليه السلام: فهل كسرت بك حيث لا سفينة تنجيك، ولا سباحة تغنيك؟، قال: بلى، قال عليه السلام: فهل تعلّق قلبك هناك أن شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلّصك من ورطتك؟ قال: بلى، فقال عليه السلام فذلك الشيء هو اللّه القادر على الإنجاء حيث لا منجيَ، وعلى الإغاثة حيث لا مغيث**»[1].

(١) انظر، شبَّر، عبداللّه، حق اليقين في معرفة أصول الدين، ص ٣٤-٣٥.

وقد أكدَّ القرآن هذه الحقيقة بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤٠ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾(١).

إنها معرفة كامنة لكنها ليست ذِكْراً.

٢- معرفة اللّه بوساطة آثاره

قد تخرج المعرفة الكامنة باللّه تعالى عن مخبئها الفطري من خلال التأمّل بصنعة اللّه تعالى والنظر في عالم الخلق البديع الذي قد يكون بسيطاً.

- كقول الأعرابي حينما سُئل عن وجود اللّه تعالى فأجاب: «**البعرةُ تدل على البعير، والأثر على المسير، أسماءٌ ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، ألا يدلاّن على اللطيف الخبير؟!**»

(١) سورة الأنعام، الآيتان ٤٠-٤١.

- وكإرشاد الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ لذلك المنكر لوجود اللّه تعالى إلى التأمل بالبيضة قائلاً: «**يا ديصاني، هذا حصن مكنون له جلد غليظ وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق، وتحت الجلد الرقيق ذهبة مايعة وفضة ذائبة، فلا الذهبة المايعة تختلط بالفضة الذائبة ولا الفضة الذائبة تختلط بالذهبة المايعة، هي على حالها لم يخرج منها مصلح فيخبر عن صلاحها ولا دخل فيها مُفسد يخبر عن فسادها، لا يُدرى للذكر خلقت أم للأنثى، تنفلق عن مثل ألوان الطواويس، أترى لها مدبراً؟!**» قال: فأطرق ملياً، ثم قال: «أشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له...»[1]
- وكإرشاد الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى التأمّل بالنملة قائلاً: «**ألا ينظرون إلى صغير ما خلق كيف أحكم**

(١) الصدوق، محمد بن علي، التوحيد، تحقيق هاشم الحسنيي الطهراني، (لا،ط)، قم، جماعة المدرسين، ص ١٢٤.

خلقه، وأتقن تركيبه، وفلق له السمع والبصر، وسوَّى له العظم والبشر[١]. انظروا إلى النملة في صغر جثتها ولطافة هيئتها، لا تكاد تُنالُ بلحظ البصر، ولا بمستدرَكِ الفكر، كيف دبّت على أرضها، وصُبَّت على رزقها، تنقل الحبة إلى جُحرها، وتُعدُّها في مستقرِّها، تجمع في حرّها لبردها، وفي وُرُودها لصَدَرِها[٢]، مكفولةٌ برزقها، مرزوقة بوِفقها، لا يُغفلها المنّانُ، ولا يَحرِمها الديّان ولو في الصفا اليابس والحَجَر الجامس[٣]. ولو فكرت في مجاري أَكْلها في عُلْوِها وسُفْلِها، وما في الجوف من شراسيف بطنها[٤]، وما في الرأس من عينها وأذنها، لقضيت من

(١) جمع بشرة وهي ظاهر الجلد الإنساني.
(٢) الصدر، محرَّكاً، الرجوع بعد الورود. وقوله بوِفقها بكسر الواو أي بما يوافقها من الرزق ويلائم طبعها.
(٣) الجامس: الجامد.
(٤) الشراسيف: مقاط الأضلاع وهي أطرافها التي تشرف على البطن.

خَلقِها عجباً، وَلَقِيْتَ من وصفِها تعباً، فتعالى الذي أقامها على قوائمها، وبناها على دعائمها، لم يَشْرَكهُ في فطرتها فاطرٌ، ولم يُعِنْهُ في خلقها قادرٌ[1].

٣- معرفة الله أولاً

إنّ ما ينتج عن التأمل بالخلق هو معرفة بالله تعالى، إلا أن هناك معرفة أعلى مقاماً من هذه المعرفة وهي تلك المعرفة التي رفض الإمام الحسين عليه السلام أثناء بيانها أن يكون المخلوق دليلاً على الخالق قائلاً في دعاء عرفة: **«كيف يُستدَلُّ عليك بما هو وجوده مفتقر إليك؟ أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المُظْهِر لك؟ متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدلُّ عليك؟ ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟ عميت عينٌ لا تراك...»**

(١) الإمام علي، نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي،تحقيق محمد عبده، ط١، قم، دار الذخائر، ج٢، ص ١١٧.

رحم اللّه من صوّر هذه المعرفة ببيتي شعر قائلاً:

لـقـد ظـهــرْتَ فـلا تَـخـفـى عـلـى أحــدٍ
إلا عـلـى أكـمـهٍ لا يـعـرف الـقـمـرَ
لـكـنْ بـطـنـتَ بـمـا أظـهــرْتَ مـحـتـجـبـاً
وكيف يُعرفُ من بالعارف استترَ؟!

ذكر اللّه بين مراتب المعرفة

إنَّ ما تقدّم حول معرفة اللّه تعالى يوضّح كون معرفة اللّه تعالى بمراتب عديدة تبدأ بالمعرفة المكتومة وتندرج إلـى معرفته تعالى بوساطة الأشياء لتنتهي إلـى معرفة الأشياء به لأنه الأظهر من كل شيء. ومن الواضح أن ذكر اللّه تعالى لا ينطبق على تلك المعرفة الكامنة غير الملتفَت إليها، إذ المعرفة لا بدّ لها- لتكون ذكراً- من حضورها اليقظ الذي يقابل النسيان، وهذا ما يُدخلنا في الشق الثاني المتضمن مفهوم الذِّكر وهو:

ب- عدم النسيان

ذكر العلاّمة الطباطبائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الميزان أنّ النسيان يأتي بمعنيين:

الأول: معنى مطابق له وهو زوال صورة المعلوم عن النفس بعد حصولها فيها، وبعبارة أخرى غياب المعرفة بعد حضورها.

الثاني: الإعراض عن المعرفة بعدم ترتيب الأثر عليها، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾[١]، فنسيان الله قطعاً ليس بمعنى غياب المعرفة، فهو العالم الذي لا يغيب عن علمه شيء، ونحن في استعمالاتنا المعرفية نستعمل النسيان، بمعنى عدم ترتيب أثر المعرفة، فمثلاً حينما لا أريد من الآخر أن يرتّب أثراً على موضوع ما أقول له: انسَ الموضوع، أي لا ترتّب أثر معرفته.

(١) سورة الجاثية الآية ٣٤.

وعليه فالإعراض الوارد في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ﴾[(١)] يُعدّ مصداقاً للنسيان بهذا المعنى.

وبناءً على ما تقدّم فإن الذاكر للّه تعالى ليس هو من يستحضر اللّه تعالى في عقله فقط، فقد يستحضر الإنسان ربه في عقله وهو يمارس الحرام بدون أن يردعه ذلك الاستحضار عن فعله، فهذا ليس ذكراً، بل الذِّكر هو الاستحضار الذي يواكبه ترتيب أثر المعرفة الحاضرة.

من هنا فإن المعرفة العقلية النظرية التي لا تتجلى في ممارسة الإنسان ليست ذكراً، بل هو تلك المعرفة التي يكتبها قلم العقل على لوح القلب بحسب تعبير الإمام الخميني قدّس سرّه، وحينها تتجلّى في سير الإنسان وسلوكه.

الخلاصة: ذكر اللّه هو معرفة اللّه الحاضرة في العقل والقلب التي تتجلّى في اتجاهات الإنسان وسلوكه.

(١) سورة طه، الآية ١٢٤.

كيف يوصل ذكر اللّٰه
إلى اطمئنان القلب؟

نفهم ممّا مرَّ

أ- أنّ الذاكر للّٰه تعالى: هو الذي يستحضر اللّٰه ويرتِّب آثار استحضاره.

ب- وأنّ غير الذاكر للّٰه تعالى هو:

١- الذي لا يلتفت إلى حضور اللّٰه تعالى.

٢-أو الذي يلتفت إلى حضوره لكنه، يعرض عنه ولا تُرتب آثار ذلك الالتفات.

وحتى تتوضح العلاقة السببية بين ذكر اللّٰه عزّ وجل واطمئنان القلب وبالتالي السعادة، فلنقارن بين حالتي الذاكر للّٰه تعالى وغيره.

والبدء مع غير الذاكر للّٰه عزّ وجل، مع تركيز البحث

على المعرض عن ذكر اللّه تعالى لأنه الفرد الأغلب في ساحة البشرية.

حالة غير الذاكر للّه تعالى

يصف اللّه تعالى المعرض عن ذكر اللّه بقوله عزّ وجل:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾[١]

إذاً، حالته في الدنيا هي: معيشة ضنك.

وقد عبّر اللّه تعالى بالمعيشة لا بالحياة؛ لأن العيش لفظ مختّص بالحيوان من إنسان وغيره باعتبار أنّه يحتاج إلى التعيُّش، ولا يطلق على اللّه تعالى وملائكته كما أفاد ذلك الراغب في المفردات[٢].

(١) سورة طه، الآيات:١٢٤- ١٢٦.

(٢) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، ط١، مصر، الميمنية، ١٣٢٤هـ، ص ٣٥٣.

أما معنى الضنك فهو الضيق، وكل ما ضاق فهو ضَنْك[١]. ومن لطيف القرآن الكريم أنه وصف الضالَّ عن سبيل اللّه تعالى والذي هو-بالطبع- معرض عن ذكر اللّه تعالى بضيق الصدر، فقال عزّ وجل: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ ...﴾[٢].

والتعبير بالصدر بما هو قالب القلب، فإذا كان الصدر ضيقاً، فإن الشاعر بهذا الضيق والمتَّصف به هو القلب، وهذا ما يعاكس اطمئنانه الناتج من ذكر اللّه تعالى.

وتجدر الإشارة هنا إلى روعة التعبير وبلاغته وإعجازه العلمي حينما شبّه ضيق قلب الإنسان، بالصاعد في السماء، فمن المعلوم أنه كلما ارتفع الإنسان في السماء، كلما قلّ الأوكسيجين إلى أن ينقطع، وهذا ما يسبب صعوبة

---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرَّم، لسان العرب، (لا،ط)، بيروت، دار صادر، (لا،ت)، ج١٠، ص ٤٦٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٢٥.

التنفس ثم استحالته، وفي هذا ضيق جسدي واضح أراد اللّٰه تعالى أن يشبّه ضيق القلب والنفس به.

لماذا يعيش المُعرض عن ذكر اللّٰه معيشة ضنكاً؟

من الواضح أن المُعرض عن ذكر اللّٰه تعالى ستقتصر نظرته وحركته ومسيرته وعيشه على الدنيا فقط، إذ السعي لأجل الآخرة مرتبط بالإيمان باللّٰه تعالى وذكره.

وعليه فإنّ هذا المُعرض سيكون في معرض حالات نفسية تابعة لطبيعة المعيشة المقتصرة على الدنيا وهذه الحالات هي:

١- التعب

الدنيا جلُّها تعب، والمراد من ذلك أن اللذة التي يحصل عليها الإنسان هي قليلة وقصيرة جداً بالنسبة إلى مقدّماتها الطويلة والمضنية التي يقتضيها الوصول إليها، ونضرب لذلك أمثلة:

من أراد أن يسير في تخصّص علمي ليؤمِّن له حياة

يرجو أن تكون سعيدة، فما هي المراحل التي يقطعها، وكيف يقطعها؟ فمثلاً إذا أراد الإنسان أن يصبح طبيباً، فهو يحتاج إلى حوالي ١٢ سنة من الدراسة المتعبة ليصل إلى الجامعة، وحينما يصل إليها في سنٍّ تقارب الـ ١٨ سنة يحتاج إلى حوالي ٧سنوات لدراسة الطب العام، وبما أنّ الطب العام قد لا يؤمِّن له ما يطمح إليه، فإنّه يحتاج إلى دراسة اختصاص طبي في مدّة تقارب الست سنوات.

وعليه يكون قد درس دراسة متعبة ربع قرن من الزمن، وبعدُ يكون طبيباً مختصّاً.

وبعد أن يجد وظيفة في المستشفى أو عيادة خاصة فَلْنتأمَّل في حياته لا سيّما مدّة الراحة وحجمها أمام مدّة التعب وحجمه !!!

إذا أرادت الزوجة الأم أن تسعد هي وتسعد زوجها وأبناءها في طعام طيّب، فتابع الجهد الذي تبذله حينما تذهب إلى السوق لتؤمِّن الخضروات واللحم والخبز وسائر المواد، ثمّ الجهد الذي تبذله في غسل الخضروات

وتقطيعها وتهيئة المواد الأخرى ووضعها على النار وانتظارها، ثم بعد ذلك وضعها على المائدة، لتجتمع العائلة بعد ساعات من عمل هذه المسكينة وتعبها ليأكلوا حوالي ربع ساعة، ويشبعون، وإذا أسرفوا في الأكل قد يوجب لهم ذلك وجعاً في البطن وما شاكل. هذا مع غضّ النظر عن تعب الآخرين في ما حصل.

فلو تأملنا في الشيء الأسهل على هذه المائدة وهي ربطة الخبز، حيث تُشترى جاهزة كم استهلكت من تعب بشري حتى وصلت إلى مائدة هذه العائلة، من حين قام الفلّاح بفلح الأرض والعرق يتصبب منه إلى حين حصاد القمح الذي يضني حاصديه، إلى حين دراسته، إلى حين طحنه، إلى حين عجنه، إلى حين خبزه، إلى حين جمعه وتوضيبه، إلى حين توزيعه لقد مرّت ربطة الخبز هذه بمشوار متعب في معيشة البشرية. وهذه هي حال الكثير من الأشياء التي نشعر بمتعة اللحظة فيها وهي تكلّف مساراً مضنياً للإنسان، فمثلاً لو تأملنا في مسيرة لوح

الشوكولا الذي قد نأكله نجد أنه يستلزم رحلة شاقة حتى يصل إلينا، فإن ثمرة الكاكاو تُقطف من أدغال أفريقيا في حرٍّ شديد ورطوبة عاليه، ثم تُفتح أكياس الكاكاو الطبيعية، وتُخرج البذور، بعد ذلك تخزَّن معزولة لفترة، ثم تُزال البذور التالفة، ثمّ تحمَّص في اسطوانات كبيرة، ثمّ تُطحن البذور، ثم تستخلص زبدة الكاكاو عبر ضخّ مشروب الكاكاو في أنابيب ضخمة، وبعدها يُفصل السائل الدهني في أوعية معدنية، ثم يُضاف إليه السكر والفانيلا ويصب في قوالب مختلفة ثم توزّع لتؤكل في لحظات متعة قصيرة تتلاشى معها تلك الرحلة المضنية.

أدريت معنى قول الشاعر «**تعب كلّها الحياة**»؟

إن تعب الإنسان الطويل أمام لذّته القصيرة، سيشعره بالضيق والشدّة.

٢- النّهم

إنّ من يقصر نظرته ومسلكه على هذه الدنيا فقط،

يشعر في كثير من الأحيان بعدم الشبع ممّا يحصل منها، فلو حصل على مالٍ وفير تراه يسعى نحو الحصول على الأكثر، ولو حصل على حُكم واسع، تراه يسعى نحو حكم أوسع، ولو حصل على شهرة عريضة، تراه يسعى نحو شهرة أعرض، ولو حصل على علم غزير، تراه يسعى نحو علم أغزر، وهكذا في سائر الأمور.

وقد ذكر الإمام موسى الكاظم عليه السلام هذه الحقيقة في تمثيله للدنيا، فقال -فيما ورد عنه-: «**مَثَلُ الدنيا مَثَلُ ماء البحر كلّما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتى يقتله**»[1].

ولعلّ من أروع توصيف لحال الحريص على الدنيا النَّهم عليها هو ما ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «**مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز، كلّما ازدادت على نفسها لفًّا كان أبعد بها من الخروج حتّى تموت غمًّا**»[2].

---

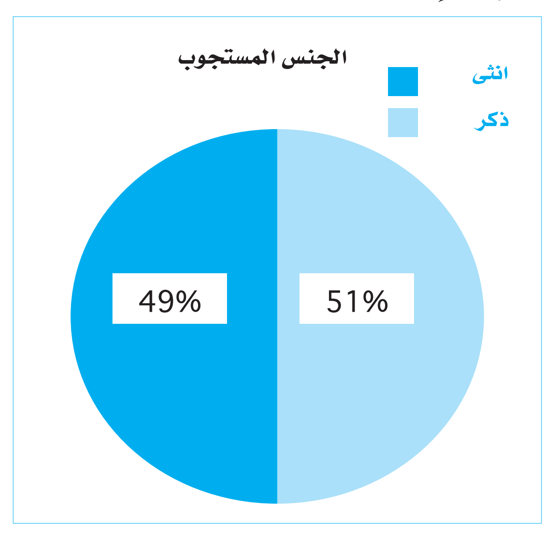
(١) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ج٣، ص ٣٣٢.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، ج٢، ص ١٣٤.

٣- القلق

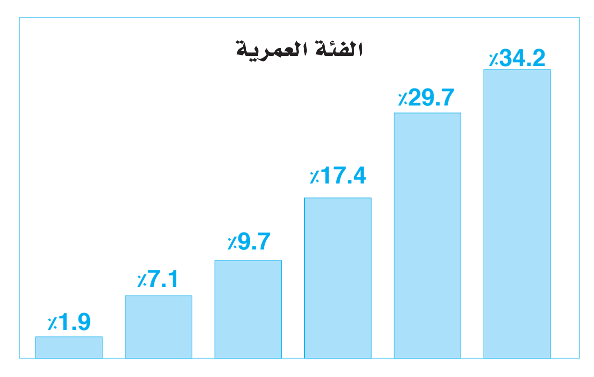
الحالة النفسية الثانية التابعة لطبيعة المعيشة المقتصرة على الدنيا هي القلق، وهو الحالة التي يشكو منها الكثير من الناس في هذا العصر.

ففي دراسة لبنانية[١] أجريت على ٢٠٠ عيِّنة موزّعة بين الذكور والإناث بما يقارب المناصفة



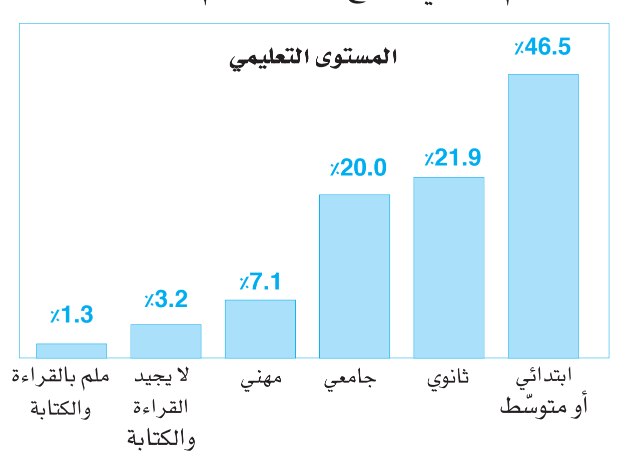
(١) أجرى هذه الدراسة المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق لبرنامج «إلى القلب» الذي عرضه تلفزيون المنار عام ٢٠٠٩.

وأعمارهم متنوعة لكن أكثرهم شبان وشابات جدول

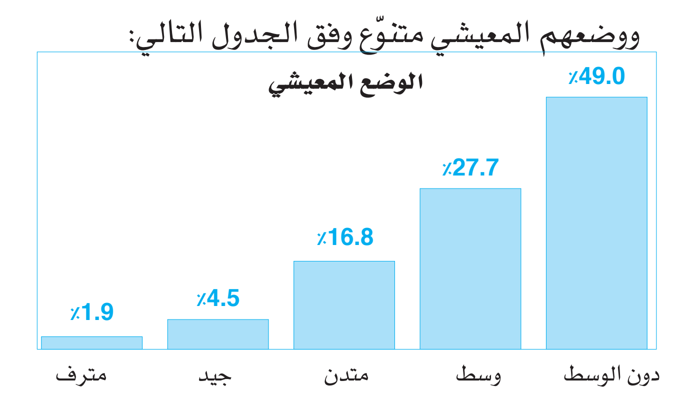


[15؛25] [25؛35] [35؛45] [45؛55] [55؛65] =<65

ووضعهم العلمي متنوّع لكن أكثرهم متعلّمون

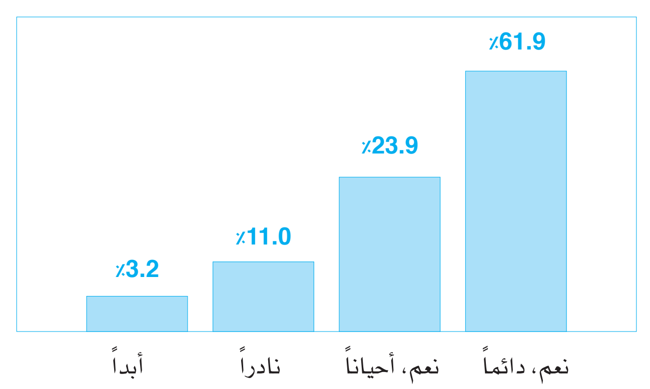


ووضعهم المعيشي متنوّع وفق الجدول التالي:



طُرح على هؤلاء سؤال:

هل تعيش حالة القلق في حياتك؟ فكانت الإجابة التالية:



نسبة القلقين بالإجمال = أكثر من ٨٥ ٪

تُرى ما هو سبب هذه النسبة العالية من القلقين؟

يمكن ردّ أسباب القلق التي يعاني منه هؤلاء وغيرهم إلى العناوين التالية:

أ- القلق من تحقيق نتيجة

كثير من الناس يقلقون من تحقيق النتيجة التي يسعون إليها فتقلقهم التساؤلات التالية:

- هل أنجح في الإمتحان؟
- هل أجد وظيفة مناسبة؟
- هل تصل البضاعة من الصين في الوقت المناسب، وأبيعها بالسعر المناسب؟
- هل سيتقدّم إليَّ عريس مناسب؟

لقد خلُصت الدراسة السابقة إلى النتيجة التالية:

سبب القلق درجة (١)	سبب القلق درجة (٢)	النسبة المئوية
الوضع المعيشي		٪ ٤٧,١
	الوضع المعيشي	٪ ٣٢,٩
الوظيفة والعمل		٪ ٩
التفكير في شريك المستقبل		٪ ٥,٢

فالملاحظ أنّ ٧٠ ٪ من القلقين كان قلقهم بسبب الوضع المعيشي. ومن الواضح أن قلق هؤلاء حصل نتيجة علمهم أن إرادتهم وسعيهم في هذه الدنيا ليسا علّة تامة لتحقيق النتيجة، فما يقوم به الإنسان هو جزء علّة ذات أجزاء كثيرة تؤثر في النتيجة المبتغاة.

ب- القلق من عدم المحافظة على المكتسبات

ويجد الإنسان وظيفة، ويربح في تجارته، وتتزوَّج الفتاة، ولكن القلق قد يبقى: هل أبقى في الوظيفة؟ هل أخسر مالي؟ هل يبقى زوجي لي وحدي؟

وما ذكرناه من الإحصاءات السابقة قد يتداخل مع هذا النوع من القلق في جملة من عناوينه.

ج- القلق من الطوارئ السلبية

قد ينعم الموظّف بأمن وظيفي.

والتاجر بعدم خسارته تجارياً.

والزوجة بدوام العلاقة الزوجية.

لكن هؤلاء قد يقلقون من طوارئ سلبية تحلُّ عليهم من قبيل الوضع الصحي، الوضع الأمني، كوارث طبيعية وهكذا. لقد خلصت الدراسة السابقة إلى النتيجة التالية:

سبب القلق درجة (١)	سبب القلق درجة (٢)	النسبة المئوية
الوضع الصحي		٩ ٪
	الوضع الصحي	٣٦,٨ ٪
الوضع الأمني		١٦,٨ ٪
	الوضع الأمني	٢٠,٦ ٪

د- القلق من الماضي

إن كثيراً من الناس يعيشون القلق نتيجة حادثة أو عمل اقترفوه في زمن مضى، فأضحوا يعيشون حياتهم كأسرى لهذا الماضي المُقلق.

تُفيد الدراسة السابقة أنّ حوالي:

- ٣٠ ٪ يفكرون في الماضي بشكل شهري
- ٥٠ ٪ يفكرون في الماضي بشكل أسبوعي
- ١٠٪ يفكرون في الماضي بشكل يومي.

وإنّ من بين هؤلاء ١٤٪ يشعرون أنهم أسرى الماضي بشكل كامل و٢٣٪ منهم أنهم أسرى الماضي بشكل محدود.

وعند سؤال هؤلاء عن سبب قلقهم من الماضي أفاد ٢, ١٩٪ أنهم يخافون عاقبة ونتيجة العمل، و ٢, ٢٥٪ أنهم يخافون من انكشافهم أمام الآخرين.

هـ- القلق من الموت وما بعده

رغم أن حديثنا عن المُعرض عن الله تعالى إلا أنّ إعراضه لن يجعله مستقراً وساكناً على مستقبله ما بعد الموت، لأن احتمال وجود عالم آخر فيه نعيم وعذاب كافٍ ليقلق الإنسان غير المراعي له حتى لو لم يحصل له يقين بذلك العالم؛ وذلك لأن الذي يدفع الإنسان ويحرِّكه هو قوَّة المحتمل وليس قوة الاحتمال.

ولتوضيح هذا المطلب أُعطي مثالاً: لو كان الإنسان في جيبه قطعة مالية حقيرة، واحتمل بنسبة ٧٠٪ أنّها وقعت من جيبه فقد لا يكترث هذا الإنسان بالأمر ولا يحاول التأكّد من المسألة، لكن لو كان في جيب الشخص نفسه «**شيكٌ**» بمبلغ كبير من المال واحتمل بنسبة ٥٪ أنّه وقع لانتفض مباشرة وتأكّد من الأمر.

ففي الصورة الأولى كان الاحتمال ٧٠٪ لكنّه لم يُحرِّك الإنسان، لأنّ المحتمل ضعيف(قطعة مالية قليلة). وفي الصورة الثانية كان الإحتمال ٥٪ لكنّه حرَّك الإنسان، لأنّ المحتمل قويّ (شيك بمبلغ كبير).

إذاً المحرّك للإنسان هو قوّة المحتمل لا قوّة الاحتمال، فكيف إذا كان المحتمل هو جهنّم التي ورد أنّ نار الدنيا هي جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم أطفئت بالماء سبعين مرّة، وإلاّ لما أطاقها الناس[١].

(١) انظر: شُبَّر، تسلية الفؤاد، ص٢٤٠ – ٢٤١.

إنّ احتمال وجود العذاب للعاصي بعد موته سيصيب هذا المُعرض عن ذلك بالقلق والهمّ.

من هنا فإن الدراسة السابقة تشير إلى أنَّ نسبة معتدّاً بها من العيِّنات اعتبروا أن أسباب قلقهم ترجع بالمرتبة الأولى إلى العناوين التالية المتعلّقة بالموت وما بعده:

سبب القلق	النسبة المئوية
الموت	٪٣٢,٩
العذاب	٪٢١
غضب اللّه	٪٩
القبر	٪٨

الخلاصة

إنّ من يقتصر حياته على الدنيا ويُعرض عن ذكر اللّه فإن معيشته ستكون ضيقة شديدة مليئة بالتعب والقلق، وهذا ما سيجعل قلبه كثير التقلّب في قفص ضيِّق، يشعر بضيقه كأنه يصَّعَّد في السماء. بسبب منغِّصات سبعة هي:

١. التعب
٢. النهم
٣. القلق من تحقيق النتيجة
٤. القلق من المحافظة على المكتسبات
٥. القلق من الطوارئ السلبية
٦. القلق من الماضي
٧. القلق من الموت وما بعده

وهذا بخلاف الذاكر للّٰه تعالى الذي يشرح اللّٰه صدره ليعيش قلبه في اطمئنان وسعادة نحاول أن نقاربها في العنوان التالي:

حالة الذاكر للّٰه تعالى

مرّ وصف القرآن الكريم لحالة غير الذاكر للّٰه المُعرض عنه تعالى بـ:

- ضنك العيش ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾.
- وضيق الصدر ﴿يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا﴾.

أمّا الذاكر للّه تعالى فقد وصف القرآن الكريم حالته بـ:

- اطمئنان القلب ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[1].
- انشراح الصدر ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾[2].

لقد قمنا سابقاً بتحليل لسبب ضيق معيشة وصدر المُعرض عن اللّه تعالى. وبان أنه تغييب اللّه تعالى عن النفس والإعراض عنه والاقتصار على هذه الدنيا؛ فإنّ ذلك سيُنتج لدى المُعرض عن اللّه حالات نفسية تقدّمت. وبالمقابل فإن اطمئنان قلب الذاكر للّه تعالى يعود إلى الحضور المتيقظ للّه تعالى في نفسه، واستحضار الآخرة فيها.

والمقصود من حضور اللّه تعالى ليس حضور وتصوُّر ذاته المقدّسة، فالإنسان قاصر عن ذلك، لأنه ممكن ضعيف، واللّه تعالى كمال مطلق لا يمكن للممكن أن يحيط

(١) سورة الرعد، الآية ٢٨.
(٢) سورة الأنعام، الآية ١٢٥.

بذاته المقدّسة، بل معناه حضور أسمائه وصفاته، كالعالم والقادر والغني والعزيز والجواد والرزّاق والمنعم والمنجي والمحيي والمميت والرحمن والرحيم...

إنَّ استحضار هذه الأسماء والصفات الإلهية الذي يرافقه استحضار الحياة الآخرة هو سبب لاطمئنان القلب وانشراح الصدر والشعور بالسعادة.

منبع الاستحضار

ومن الواضح أن منبع هذا الاستحضار إنسانياً هو النفس، فهي المنبع لذكر اللّه تعالى، وهي المروية بماء ذلك النبع.

والنفس الإنسانية وإن كانت واحدة إلا أنّ فيها قطبين يتحكمان بفعاليات الإنسان العملية وتجلياته الروحية وهما العقل والقلب.

فالعقل هو مصدر التفكُّر والتبصُّر والمنطق والاستدلال.

والقلب هو منشأ التجلِّيات الروحية والنفسية من الرغبة

والحبّ والتمنّي والانفعال[١]. وذكر اللّه تعالى واستحضار أسمائه وصفاته تارة يكون بالعقل وطوراً بالقلب.

وأطبّق ذلك من خلال البيان التالي:

الذِّكر بالعقل

فحينما يستذكر الإنسان صفة الغني للّه تعالى، فإن معناها أنّ اللّه لا يريد شيئاً لنفسه، وإنما ما يريده من الإنسان هو لأجل الإنسان.

وحينما يستذكر الإنسان صفة الحكيم للّه تعالى التي تعني أنّه يضع كل شيء موضعه المناسب، فمعناها أنّ اللّه خلق الإنسان لأجل غاية ترتبط بمصلحة الإنسان نفسه، ويمكن للعقل في ضوء معرفته بصفات اللّه تعالى أن يحدِّد العنوان العام لهذه الغاية، ألا وهي كمال الإنسان.

وهذا ما يستدعي سؤالاً من الإنسان: هل أستطيع بنفسي معرفة الطريق التي تؤدي إلى الكمال؟ والجواب من

(١) انظر: مطهري، مرتضى، العقل والقلب، ط٣، بيروت، مركز الإمام الخميني الثقافي، ٢٠٠٨م، ص ١٠.

خلال التأمل بقدرات الإنسان وطبيعة الحياة سيكون: كلا.

إذاً لا بُدَّ للحكيم أن يعرِّف الإنسان على طريق الكمال، وهنا يتعرّف العقل على سرِّ النبوات والرسالات، وأن رسالات رسل اللّه تعالى هي خرائط الوصول إلى كمال الإنسان. سيتعرَّف حينئذٍ أن الشريعة هي برنامج كمال الإنسان وسعادته. سلام اللّه تعالى على أمير المؤمنين القائل في ما ورد عنه: «الذِّكر هداية العقول»[(١)]

الذِّكر بالقلب

وحينما يتأمل الإنسان أسماء اللّه تعالى وصفاته عزّ وجل وكلّها كمالية يجد نفسه مجذوباً إليها لأنه مفطور على حبِّ وعشق الكمال، فالحبّ هو ميل القلب إلى الكمال الذي يعتقده المُحب في الحبيب، فكيف حاله وهو يذكر اللّه الكمال المطلق بصفاته وأسمائه أنه سيُبحر في هذا الذِّكر الذي سيملؤه سعادةً وسروراً؟

(١) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ط١، بيروت، دار الحديث للطباعة والنشر، ١٤٢١ هـ، ج٦، ص ٤١٨.

ألا تجد أيها القارئ الحبيب أنك إذا أحببت وعشقت شخصاً فإنك تحبُّ رؤيته وحين تراه تشعر بانشراح وسعادة يغمران قلبك؟ وإذا لم تره تحبّ أن ترى صورته، فإذا رأيتها تشعر أيضاً بانشراح وسعادة غامرتين. بل إنّ المحبّ يحبّ كل أثر ينتمي إلى محبوبه.

وهكذا حال الذاكر للّه تعالى الذي انجذب لكماله وأسمائه وصفاته فتراه حينما يذكره ويستحضرها يمتلئ انشراحاً وسروراً وحياة. سلام اللّه تعالى على أمير المؤمنين القائل فيما ورد عنه: «**في الذِّكر حياة القلوب**»[١].

(١) المرجع السابق، ج٦، ص ٤١٧.

الذاكر للّٰه أمام التعب والنهم والمقلقات الخمس

مرَّ أن المُعرض عن ذكر اللّٰه تضيق معيشته لأسباب سبعة:

١. التعب

٢. النهم

٣. القلق من تحقيق النتيجة المبتغاة

٤. القلق من المحافظة على المكتسبات

٥. القلق من الطوارئ السلبية

٦. القلق من الماضي

٧. القلق من الموت وما بعده.

أمّا الذاكر للّٰه فإن حياته تبقى مطمئنة هادئة عابرة لهذه الأمور السبعة دون أيٍّ كدر في نفسه وضيق في حياته.

ولمقاربة ذلك نمرّ على العناوين السبعة في حياة الذاكر للّه تعالى بلغتي العقل والقلب.

١-الذاكر لله تعالى والتعب

لا يمكن للعاقل أن ينفي التعب عن الإنسان حينما يقوم بجهد معتدٍّ به سواء كان ذاكراً للّه أم معرضاً عنه، إلا أن التعب لا يستلزم دائماً شعوراً بالضيق، بل قد يلازمه فرح وسعادة كحال الرياضي الراكض في «**ماراتون**» وقد وجد نفسه يتقدّم الجميع ضامناً الجائزة، وها هو يركض في آخر خطواته نحو خط الفوز، فإن خطواته الأخيرة هذه يواكبها الجسد في أرهق حالة والنفس في أسعد لحظة.

وكحال الأم وهي ترضع طفلها، فإنّ شعورها يمتزج كثيراً بين التعب والفرح.

وهكذا حال الذاكر للّه تعالى فإن عقله يدلّه على أنه يستحيل على اللّه الحكيم أن يقتصر الحياة على هذه الدنيا التي جلّها تعب، فلا بُدَّ أن يكون هناك حياة أُخرى لا تعب فيها، تكون هي الغاية لهذه الحياة، فيشعر بالانشراح

والراحة لمستقبل النعيم الآتي.

ويزداد فرحاً حينما يجد أنّ ما وصل إليه عقله أكَّده كتاب ربِّه الذي يتحدَّث عن أهل الجنّة قائلاً: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾[1] أي تعب، كما يؤكِّد ذلك على لسان أهل الجنّة الذين يقولون: ﴿... ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ ...﴾[2]، بل تزداد وتزداد سعادته بحيث يشعر بلذة من ذلك التعب حينما يعرف ثوابه العظيم لا سيّما بناء على ما ورد في الحديث: «**أفضل الأعمال أحمزها**»[3] أي أشقّها، وذلك حينما يقرأ ما ورد في القرآن الكريم حول الجنّة التي هي جزاء لأولئك الذاكرين الذين أتعبوا أنفسهم في سبيل الله فالقرآن يتحدّث عن:

---

(١) سورة الحجر، الآية ٤٨.

(٢) سورة فاطر، الآيتان، ٣٤-٣٥.

(٣) المازندراني، شرح أصول الكافي، تحقيق أبي حسن الشعراني، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٠م، ج٨، ص ٥٣.

﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾[١].

وعن خصائص هذه الجنّة، فـ:

١. بيوتها: ﴿غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[٢].

٢. وفرشها: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾[٣].

٣. وحشو تلك الفرش: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾[٤].

٤. وأسرّتها: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾[٥] و﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾[٦].

٥. وأبوابها: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾[٧].

٦. وأنهارها: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[٨].

---

(١) سورة عمران الآية ١٣٣.
(٢) سورة الزمر، الآية ٢٠.
(٣) سورة الواقعة، الآية ٣٤.
(٤) سورة الرحمن، الآية ٥٤.
(٥) سورة الواقعة، الآية ١٥.
(٦) سورة الغاشية، الآية ١٣.
(٧) سورة ص، الآية ٥٠.
(٨) سورة البقرة، الآية ٢٥.

٧. وشراب أهل الجنّة: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ﴾[(١)].

٨. وطعام أهل الجنّة: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾[(٢)].

٩. وفاكهة أهل الجنّة: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾[(٣)]، ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾[(٤)]، ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾[(٥)].

١٠. ولباس أهل الجنة: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[(٦)].

١١. وحُلَلُ أهل الجنّة: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾[(٧)].

١٢. ونساء أهل الجنّة: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ

(١) سورة محمد، الآية ١٥.
(٢) سورة الواقعة الآية ٢١.
(٣) سورة الواقعة، الآيتان ٣٢، ٣٣.
(٤) سورة الرحمن، الآية ١١.
(٥) سورة الرحمن، الآية ٦٨.
(٦) سورة الحج، الآية ٢٣.
(٧) سورة الحج، الآية ٢٣.

﴿لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ۝٧٤ كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾[1].

١٣. وخدّام أهل الجنّة: ﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ﴾[2]

وتعب الذاكر لله تعالى بلغة القلب يذوب ويذوب كما تذوب الألف بين العذاب والعذب، فيتحوّل العذاب عذباً طالما هو في سبيل المعشوق.

ولعلّه بهذه الخلفية عاتب الله تعالى مادحاً رسوله العاشق مبيّناً كماله وعشقه بقوله: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾[3].

٢- الذاكر لله تعالى والنهم

إنّ الذاكر لله تعالى وإن كان يعمل فيها كأنه يعيش فيها أبداً إلا أنّه ينظر إليها نظرة المفارق لا نظرة العاشق الوامق[4]،

---

(١) سورة الرحمن، الآيتان ٥٦ و٥٧.
(٢) سورة الواقعة، الآيتان ١٧، ١٨.
(٣) سورة طه، الآية ٢.
(٤) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ج٣، ص ٣١٣.

«فهو يعلم أنَّ عزَّها وفخرها إلى انقطاع، وأنّ زينتها ونعيمها إلى زوال، وأن ضراءها وبؤسها إلى نفاد»[1]، فهو لا يدخل في الدنيا دخولاً يضرّه بآخرته، ولا يتركها تركاً يكون فيها كلاًّ على الناس»[2]، فهو ليس كالعطشان الشارب من البحر، ولا كدودة القزّ، بل هو شارب ما يرويه ويقوِّيه على المسار الطويل في الحياة كلّ الحياة، مقتنعاً بما قسم اللّه له؛ لأنه يؤمن باللّه تعالى العادل في توزيع عطاياهُ، الحكيم في اختيار موضعها

٣- الذاكر للّه تعالى والقلق من النتيجة

إنّ الذاكر للّه تعالى يدرك أن اللّه تعالى لم يأمره بتحقيق النتائج التي يكون فيها جزءاً من العلّة، وهناك أجزاء أخرى هي خارجة عن إرادته.

فالوصول إلى الربح ليس واجباً عليه، بل تكليف من يحتاج إلى نفقة أن يسعى نحو تحصيل رزقه، أمّا الرزق فهو من عند اللّه تعالى، وهكذا سائر الأمور.

---

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق، ص ٣٣١.

من هنا فإن اللّه تعالى أوضح لخاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان يجد في هداية الناس أن تحوّلهم إلى الإيمان ليس بيده فقال تعالى له صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[1]، موضحاً له القاعدة التي تجعله يهتم بالمقدِّمات المطلوبة منه دون نتائج الأعمال فقال تعالى له صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[3].

وهذا ما أوضحه اللّه تعالى للأمة في تكليفها فهو لم يطلب منها أن تحقق النصر، بل طلب نصرة اللّه التي تعني أداء التكليف، فقال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾[4]

وقد أوضح الإمام الخميني قدس سره هذا المفهوم بشكل جلي حينما قال: «**نحن مأمورون بأداء التكاليف ولسنا مأمورين بتحقيق النتائج**».

---

(١) سورة الغاشية، الآية ٢٢.
(٢) سورة الرعد، الآية ٤٠.
(٣) سورة آل عمران، الآية ٢٠.
(٤) سورة محمد، الآية ٧.

بناءً على ما تقدّم فإن الذاكر للّه تعالى لا تقلقه النتيجة قلقاً يجعله في ضيق في حياته، بل ما يهمّه بشكل أساسي أن لا يكون مقصِّراً في أداء تكليفه فإنّ تقصيره سيولِّد له همًّا، وهذا ما عبّر عنه أمير المؤمنين عليه السلام في ما ورد عنه: «**المقصِّر مهموم**» أمّا إذا لم يكن مقصّراً، فإنْ حصلت النتيجة المبتغاة يفرح بها، وإن لم تحصل فلماذا يشعر بالهم طالما أنّه قد أدّى تكليفه التام بدون تقصير فيه؟ فالذاكر للّه في هذه الحالة يسلّم أمره للّه تعالى الذي يدبِّر الأمر وفق حكمته في هذه الدنيا التي تتزاحم فيها الأشياء. والنتيجة التي يبتغيها ذاكر اللّه تعالى بلغة القلب هي رضا اللّه تعالى، فهو محور حركته وسعيه في هذه الحياة، فطالما يشعر برضا اللّه تعالى، فنفسه في رضا واطمئنان.

٤-الذاكر للّه تعالى والمحافظة على المكتسبات

إن المنطق السابق نفسه للذاكر للّه تعالى بالنسبة إلى النتيجة يأتي هنا بالنسبة إلى المحافظة على مكتسباته،

فإنّ على الإنسان أن يؤدي تكليفه، فإنْ قام بأدائه دون تقصير، ولكن لم يستطع المحافظة على ما اكتسب من مالٍ أو غيره بسبب أمور خارجة عن طاقته وقدرته، فإنّه في هذه الحالة لن تضيق عليه معيشته.

إنّ ذاكر اللّه تعالى بلغة القلب يهمّه بالدرجة الأولى أن يحافظ على مكتسباته المعنوية عند اللّه تعالى بأن لا يفقد منزلة الرضا الإلهي بالغفلة عنه أو ارتكاب المعاصي - والعياذ باللّه تعالى-.

فيتجنَّب بذلك ما حذّر منه رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم حينما قال - في ما ورد عنه-: «**من قال: سبحان اللّه غرس اللّه له بها شجرة في الجنّة، ومن قال: الحمد للّه غرس اللّه له بها شجرة في الجنة، ومن قال: لا إله إلا اللّه غرس اللّه له بها شجرة في الجنة، ومن قال اللّه أكبر غرس اللّه له بها شجرة في الجنة، فقال رجل من قريش: يا رسول اللّه إن الأشجار في الجنة لكثيرة. قال صلى الله عليه وآله وسلم: نعم، ولكن إياكم أن ترسلوا إليها نيراناً فتحرقوها، وذلك أن اللّه عزّ**

وجل يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾[1].

٥-الذاكر لله تعالى والقلق من الطوارئ السلبية

تقدّم أن من الحالات النفسية التي تعتري غير الذاكر لله تعالى هو القلق من النوازل والبلاء، من فقد حبيبٍ، أو مرض في الجسم، أو خسارة في المال، أو تهجير من الأرض إلى غير ذلك مما يطرأ على الإنسان من أنواع البلاء.

وبما أنَّ سبب قلقه، كما تقدّم، هو قصر نظره وعقله وقلبه على الدنيا، فإنّ تفاعله مع هذه الابتلاءات يظهر بموقفين هما: الذمّ الذي يعقبه النفور، والإحباط الذي قد يتطوّر إلى الاعتراض.

أما الذمّ فهو ينطلق من نظرة هذا الإنسان إلى تلك الابتلاءات بأنها قبيحة، ومن طبيعة الإنسان أن ينفر من القبيح ، وأمّا الإحباط الذي قد يتطوَّر إلى اعتراض، فسببه

(١) الميرزا التقي، غنائم الأيام، تحقيق عباس تبريزيان، ط١، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ج٥، ١٤٢٠هـ، ص٢.

الشعور بالأذى مما يصيبه من ذلك البلاء، من ألم الجسد وحزن القلب وما شاكل.

فلذا يشعر بالضيق والشدّة اللذين يؤديان به إلى شقاء في حياته.

أمَّا الذاكر للّه تعالى والمستحضر لأسمائه وصفاته في عقله وقلبه فإن موقفه من البلاء يختلف فهو ليس ذمًّا يعقبه نفور، بل هو ثناء يعقبه إقبال، وهو ليس إحباطاً قد يتطوّر إلى اعتراض، بل هو رضا يعقبه شكر.

والفارق الأساس بين الذاكر للّه تعالى والمعرض عنه هو نظرة كلٍّ منهما إلى البلاء، فغير الذاكر يضيِّق نظرته، فيرى مصداق البلاء وحده، بحيث يملأ كلَّ مشهد عينه ومشهد قلبه، فلا يرى كلاًّ من المرض والفقر والتهجير والخسارة إلا نقطةً سوداء تملأ المشهد.

بينما الذاكر للّه تعالى يرى تلك المصاديق جزءاً في لوحة الوجود وحينها ستتغير النظرة.

فهل تستطيع أيُّها القارئ الحبيب أن تحكم على الخط المستقيم بأنه أجمل من الخط الأعوج؟ إنّ من يحكم بذلك يخطئ في منهج النظرة إلى الأمور لأن جمال الخطِّ وقبحه لا يكون من خلال النظر إليه بمفرده، بل لا بدّ أن تنظر إليه في لوحة وجوده، فإذا كانت لوحة وجوده هي وجه الإنسان فسيكون الأعوج هو الجميل، ألا ترى أن الحاجب الأعوج فيه هو أجمل من الحاجب إذا كان جالساً! من هنا خاطبه أحدهم قائلاً:

يا أيّها الحاجب المعوّج لو كنت جالساً لكنت أعوج!

إن ذكر الذاكر لصفة الحكيم تعالى سيشعره بجمال اللوحة بكل ألوانها طالما أنَّه يضع الأمور في مواضعها المناسبة.

فالنقطة السوداء القاتمة والذميمة بنظر غير الذاكر للّه تعالى تضفي عند الذاكر جمالاً في لوحة الوجود كالخال الأسود على وجه الفتاة الحسناء.

ثمرات البلاء

على هذا الأساس ينظر الذاكر للّه تعالى إلى الفقر والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات فيرى هذه

الابتلاءات في اللوحة الكبيرة:

١- **مربيّةً** للأقوياء الأشداء الناجحين في هذه الحياة، فهم فيها كالشجرة البريّة التي تقف صلبة أمام الرياح العاتية، ويقسو جذعها أمام فأس الحطّاب.

سلام اللّه تعالى على أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي ورد في قول عنه: «**ألا وإنّ الشجرة البريّة أصلب عوداً، والروائع الخضرة أرقّ جلوداً**»(١)

٢- **عبرةً** تساعد الإنسان في تصويب مساره وتُبعده عن الانغماس في المعاصي والطغيان والبغي في الأرض.

وكما يقول اللّه تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾(٢).

٣- **موجبةً** لعلوّ مقام الإنسان عند اللّه تعالى، فالحياة عند الذاكر للّه تعالى لا تقتصر على هذه الدنيا، بل إن هذه الدنيا لا تستأهل إطلاق الحياة الحقيقة عليها

(١) نهج البلاغة، ج٣، ص ٧٢.
(٢) سورة الشورى، الآية ٢٧.

أمام حياة الآخرة التي يعبّر عنها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿... وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾[1].

البلاء وتعويض الله

وقد جعل اللّه تعالى - وهو المجزل المثيب - تعويضاً من كلِّ بلاء يصيب الإنسان في هذه الدنيا، وهو تعويض جزيل جداً بكرم اللّه تعالى.

فعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: **«إن في الجنّة شجرة يقال لها شجرة البلوى، يؤتى بأهل البلاء يوم القيامة، فلا يُرفع لهم ديوان، ولا ينصب لهم ميزان، يصبُّ عليهم الأجر صبّاً»**[2].

وكتطبيق لذلك التعويض الإلهي الكبير أُعطي هذه الأمثلة التي تعرّضت لها الروايات:

(١) سورة العنكبوت، الآية ٦٤.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧٩، ص ١٣٧.

أ- سقوط الجنين

- عن النبي ﷺ: «**إني مكاثر بكم الأمم حتى إنّ السقط ليظلّ محبنطئاً على باب الجنّة، فيقال له: ادخل الجنّة، فيقول: أنا وأبواي، فيقال: أنت وأبواك**»[١].

ب- موت الولد

ورد أنّ اللّه تعالى أوحى إلى نبيّه داود عليه السلام حينما مات ولده وقد حزن عليه: «**ما يعدل هذا الولد عندك؟** قال عليه السلام: «**كان يا رب يعدل عندي ملء الأرض ذهباً**»، فأوحى اللّه تعالى إليه: **فلك عندي يوم القيامة ملء الأرض ثواباً**»[٢]

- وورد أن النبي ﷺ قال لصاحبه ابن مظعون وقد مات ولده واشتد حزنه عليه: «**يا ابن مظعون، إن للجنة ثمانية أبواب، وللنار سبعة أبواب، أفما يسرُّك أن لا تأتي باباً إلا**

(١) الشهيد الثاني، مسكن الفؤاد، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، قم، ١٤٠٧ هـ، ص ٥. معنى « محبنطئاً: أي ممتلئً غيظاً، أو ممتنعاً.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧٩، ص ١٢١.

وجدت ابنك إلى جنبه، آخذاً بحجزتك يستشفع لك إلى ربك، حتى يشفِّعه الله تعالى[(١)]؟

- وورد عن النبي ﷺ: **«من قدّم من صلبه ولداً لم يبلغ الحنث كان أفضل من أن يخلف من بعده مائة كلُّهم يجاهدون في سبيل الله عزّ وجل، لا تسكن روعتهم إلى يوم القيامة»**[(٢)].

ج- مرض الجسم

عن الرسول الأكرم ﷺ: **«إن الرجل ليكون له الدرجة عند الله لا يبلغها بعمله، يُبتلى ببلاء في جسمه فيبلغها بذلك»**[(٣)].

إنّ المتأمِّل في هذه الروايات سيفهم حالة الذاكر للّه المطمئن قلبه عند البلاء، لأنه إن فكّر بمنطق الربح والتجارة مع اللّه تعالى، فإنّ الثواب الكبير يدعوه إلى الرضا ببلاء اللّه تعالى.

---

(١) الشهيد الثاني، مسكن الفؤاد، ص ٢٠.

(٢) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، بيروت، ١٤٠٨هـ، ج٢، ص ٣٩٢.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧٨، ص ١٧٤.

ألا ترى أيها القارئ الحبيب، لو أن شخصاً كان في بلد بعيد وأراد أن يرجع إلى أهله في لبنان، ورحلته تقتضي أن تحطَّ الطائرة في مطار باريس «ترانزيت» لينتظر فيه ثلاث ساعات ثم تقلع بعدها الطائرة، وكان هذا الرجل قد أبلغ أهله بموعد الطائرة حيث سيكونون في مطار بيروت عند الموعد المحدّد، إلا أن طارئاً حدث في مطار باريس اضطر الراكب أن ينتظر فيه عشر ساعات إضافية، كيف ستكون حالته النفسية؟

لا شكّ أن كثيراً من الناس يصيبهم ضيق الصدر، والكدر والحزن على ذلك، ولكن لو أنَّ هذا المسافر أُبلِغَ بشكل يقيني قبل أن يحدث ذلك الطارئ أن كل ساعة سيتأخرها في مطار باريس سيُعطى له تعويض قيمته ٥٠٠٠٠ يورو، كيف ستكون حالته حينئذٍ؟

لا شكّ أن هذا الإنسان ستتغيّر حالته المعنوية، وهو حينما يفكِّر في تأخير كل ساعة ومضاعفاته سيغمره شعور

بالرضا على التأخير، بل الفرح لأن رصيده المالي يزيد ٥٠٠٠٠ يورو في كل ساعة.

ولو أنّ هذا المسافر أُبلغ يقينياً أنّه إذا تعرّض في فترة التأخير هذه إلى صفعة على خدِّه، فإنّه سيعوَّض عليه بـ١٠٠٠٠٠ يورو عن كل صفعة، فإنّه إذا ضُرب سيشعر بالألم، لكنّه حينما يفكّر بزيادة رصيده المالي ١٠٠٠٠٠ يورو عن كل صفعة سيشعر أيضاً باللذة.

أمّا بمنطق القلب فإنّ الذاكر للّه تعالى سيكون في رضا أتمّ وطمأنينة أقرّ عند الابتلاء الإلهي، فقد يفهم البلاء رسالة حبٍّ من اللّه تعالى فيكون حاله كحال ذلك العالم الذي لم يُرزق بولد، فأخذ يدعو اللّه تعالى طويلاً حتى رزقه بولد ملأ حياته سعادةً وسروراً، وتعلّق قلبه به تعلّقاً كبيراً، وذات يوم -حينما كان يعظ الناس- جاءه خبر وفاة ولده الوحيد، فأكمل موعظته بدون أن يبدو عليه الحزن المتوقّع، وبعدها طلب من الناس أن يشاركوه تشييع ولده.

سأله أحدهم: إني أعلم أنك تعشق ولدك، فلم لم يبدُ عليك آثار الحزن عليه؟

فأجابه: حينما جاءني خبر وفاته، خطر في قلبي أنّ اللّه تعالى علم أنّ قلبي تعلّق بحبِّ غيره، فتوفّاه تعالى؛ كي لا يسكن قلبي إلا حبُّه، فرضيت.

إنّ ما تقدّم يوضح كلمة بعض العرفاء بأنَّ الفرق بين العذاب والعذب ألف لا تُقرأ.

حمد الذاكر للّه في بلائه

خلاصة ما تقدّم أن الذاكر للّه تعالى:

أ- يرى البلاء في لوحة الوجود جميلاً مهما كان صعباً وقاسياً، لذا يكون منه الثناء ولعلّ أروع تعبير عن هذا المفهوم الراقي هو جواب السيِّدة زينب الكبرى عن سؤال عبيداللّه ابن زياد لها بعد ملحمة عاشوراء: كيف رأيت فعل اللّه بأخيك وأهل بيته؟

فأجابت، وهي تستحضر كلّ المأساة والعذاب والألم، لكنّها

كانت ناظرة في لوحة الوجود كلّها: «**ما رأيت إلا جميلاً**»[١].

لذا نسب اللّه تعالى البلاء إلى نفسه فقال تعالى: ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[٣].

ب- يرى البلاء الذي فيه غفران ذنوبه ورفع مقامه وثواب جزيل، إحساناً من اللّه تعالى إليه. لذا يكون منه الشكر.

والجامع بين الثناء والشكر هو الحمد.

لذا يكون الحمد للّه من سيماء الذاكر للّه تعالى حتّى على ما يكره الناس فـ «**الحمد للّه الذي لا يُحمد على مكروه سواه**»

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥، ص ١١٦.
(٢) سورة المؤمنون، الآية ٣٠.
(٣) سورة البقرة الآيتان ١٥٥، ١٥٦.

وحينها سيكون من تلك النماذج الراقية في تاريخ الإنسانية التي تسير بعين اللّه تعالى ورضاه نحو جنّة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ورد في الحديث: «إذا مات ولد العبد قال اللّه تعالى لملائكته أقبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول اللّه تعالى: «ابنوا لعبدي بيتاً في الجنّة سمّوه بيت الحمد».

٦-ذاكر اللّه تعالى والقلق من الماضي

كثير من الناس يشعرون بالتوتر والغمّ حينما يستذكرون ماضياً سيئاً اقترفوا فيه خطايا وآثاماً.

والحقيقة أن هذا النوع من التوتر والقلق وإن كان ينطلق من الماضي إلا أنّ ظرفه الزمني الذي يقلقهم هو المستقبل، فهم يخافون من انكشاف أمرهم فيه، وكذلك من تحمُّل تبعات ذلك ما بعد الموت حينما يعتقدون بل يحتملون ذلك كما تقدّم.

وما يزيد من حالة الخوف والهمّ هذه ما يسمعونه في كتاب اللّٰه تعالى من تثبيت للذنوب بتسجيلها وإشهاد عليها.

أ- فهناك ملكان يسجلان ليشهدا بعد ذلك بما سجَّلا.

يقول تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[1]

ويقول تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾[2].

ب- ولا يقتصر الأمر على ملكين، بل قد يتفاجأ الإنسان يوم القيامة بشهادة الجوارح على الإنسان.

يقول تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[3]. ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[4]

ويُضاف إلى تسجيل الملكين وشهادة الجوارح حديث الأرض فاضحة الإنسان بما اقترف عليها من آثام.

(١) سورة ق، الآية ١٨.
(٢) سورة ق، الآية ١٧.
(٣) سورة يس، الآية ٦٥.
(٤) سورة فصلت، الآية ٢١.

يقول تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾[١].

إنَّ التفكير بهذا المستقبل المتعلّق بالماضي يجعل الإنسان في قلق.

تُرى كيف يُخرج نفسه من هذا القلق؟

في التقرير السابق لأولئك الناس الذين كان أكثرهم من القلقين وردت الأجوبة التالية المتعلِّقة بكيفية الخروج من الماضي:

الجواب	النسبة المئوية
أهرب من التفكير و «طنِّش»	٣٤٪
أشغل نفسك بنشاطات مختلفة	٢٤٪
استغفر وتُب	٢١٪
راجع المختص	أقل من ٥٪

ومن الواضح أنّ الجوابين الأولين غير منطقيين، لأن الهروب من التفكير ليس بمقدور أغلب الناس الذين

(١) سورة الزلزلة الآيات ١-٤.

يعيشون تلك المشكلة، لأنهم يشعرون بالتذكُّر القهري، عند أدنى ملابسة تذكّرهم بالحادثة التي تؤلمهم.

وقد يشغل الإنسان نفسه ببعض الأنشطة، فيؤثر ذلك في نسيانه، ولكن بشكل وقتي؛ لأنه إن لم تقلقه مشكلة الماضي أثناء انشغاله ستقلقه أحياناً كثيرة أثناء فراغه.

من هنا لا بُدَّ من حلٍّ آخر يفتح باب حياة جديدة لا يتخلّلها ذلك القلق المضني.

والحلّ يأتي من بوَّابة ذكر اللّه تعالى، فحينما يستذكر الإنسان اللّه في نفسه أسماءه وصفاته عزّ وعلا، فإنه يستحضر ثلاثة عناوين يرى فيها أملاً بتلك الحياة المطمئنة وهي: الرحمة والشفاعة والتوبة.

أ- أمّا الرحمة، فلأنَّ للّه تعالى رحمة يوم القيامة يمدُّ لها إبليس عنقه، وقد قال عزّ وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[١].

(١) سورة النساء، الآية ٤٨.

ب- **أمّا الشفاعة**، فلأنَّ اللّه تعالى يقبل يوم القيامة شفاعة من ارتضى وهو القائل عزّ وجل: ﴿لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾[١].

إنّ الرحمة والشفاعة يشكّل كلٌّ منهما أملاً للنجاة في المستقبل، لكنه أمل محتمل لا يطرد ذلك القلق، فلا الرحمة مضمونة لذلك المخطئ ولا الشفاعة كذلك.

وهذا ما يشدُّ الذاكر للّه نحو العنوان الثالث وهو:

ج- **التوبة**، لأنها تمتاز عن الرحمة والشفاعة بأنها مضمونة التحقق، وذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾[٢].

فكلمة «**على اللّه**» تفيد أن اللّه تعالى وعد بقبول التوبة وعدًا حاسمًا واللّه لا يخلف وعده، فلو قال أحدهم إن مساعدة فلان عليَّ، أليس هذا وعدًا والتزام بذلك؟ وهكذا

(١) سورة طه، الآية ١٠٩.
(٢) سورة النساء، الآية ١٧.

هو قول اللّه عزّ وجل ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ ﴾؛ من هنا كانت التوبة مضمونة منه تعالى.

مفاعيل التوبة

وهنا يُطرح تساؤل حول تلك التسجيلات التي تمّت، وأولئك الشهود الذين حدَّثنا عنهم القرآن الكريم، فكيف يكون حالها مع التائب؟

الجواب من الإمام جعفر الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما يقول - في ما ورد عنه-: «إذا تاب العبد توبة نصوحاً أحبَّه اللّه، فستر عليه في الدنيا والآخرة»، فسأله صاحبه ابن وهب: وكيف يستر عليه؟ فأجابه عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يُنسي ملكيه ما كتبا عليه من الذنوب، ثم يوحي إلى جوارحه: اكتمي عليه ذنوبه، ويوحي إلى بقاع الأرض: اكتمي عليه ما كان يعمل عليك من الذنوب، فيلقى اللّه حين يلقاه، وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب»[(١)]

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب الكافي، تحقيق علي أكبر غفاري، ط٤، قم، دار الكتب الإسلامية، ج٢، ص ٤٣١.

ومن بشارة هذه الرواية التي جعلها الإمام الخميني قدس سره من أحاديث كتابه القيِّم «الأربعون حديثًا» أنَّ ستر اللّه تعالى على التائب ليس فقط في الآخرة، بل هو في الدنيا والآخرة، وهذا ما يُسكن قلب التائب الذي يخاف من انكشاف أمره في الدنيا، وعذاب اللّه في الآخرة.

وقد فتح اللّه تعالى باب التوبة برحمة للراغبين بسلوك طريق الذِّكر فتحاً واسعاً عبَّرت عنه رواية وردت عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «من تاب قبل موته بسنة تاب اللّه عليه، ثم قال: وإن السنة لكثيرة. من تاب قبل موته بشهر تاب اللّه عليه، ثم قال وإن الشهر لكثير. من تاب قبل موته بيوم تاب اللّه عليه، ثم قال: وإن يوماً لكثير. من تاب قبل موته بساعة تاب اللّه عليه، ثم قال: وإن الساعة لكثيرة، من تاب قبل أن يعاين قبل اللّه توبته»[1].

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٦، ص ١٩.

ومعنى قبل أن يعاين أي قبل معرفته لحظة المصير الأخير في دنياه وهو الموت. وهذا ما تُشير إليه الآية الكريمة: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ﴾ وقد عبَّر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام عن فرحة اللّه لتوبة عبده الآبق، فعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**اللّه أشد فرحاً بتوبة عبده من العقيم الوالد، ومن الضال الواجد، ومن الظمآن الوارد**»[1].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «**إن اللّه أشدُّ فرحاً بتوبة عبده من رجلٍ أضلّ راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها**»[2].

ألا يستدعي هذا أن نتوب إلى اللّه تعالى ونعود إليه وليخاطب كلٌّ منّا نفسه:

«**أيتها النفس الشقيةُ التي قضيت سِنِي عمرك الطويلة**

---

(١) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ج١، ص ٥٤١.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٢، ص ٤٣٥.

في الشهوات، ولم يكن نصيبك سوى الحسرة والندامة، أبحثي عن الرحمة، واستحي من مالك الملوك، وسيري قليلاً في طريق الهدف الأساس المؤدي إلى حياة الخلد والسعادة السرمدية، ولا تبيعي تلك السعادة بشهوات أيام قليلة فانية لا تتحصل حتى مع الصعوبات المضنية الشاقة»

وهنا ينبري السؤال الأهم:

كيف يتوب المذنب إلى اللّه تعالى؟

قد يظن بعض الناس أنه يكفي للتوبة والعودة إلى اللّٰه تعالى أن يندم الإنسان بقلبه، وهذا ما نلاحظه في أجوبة تلك العيّنات في الدراسة السابقة، فعند سؤالهم:

هل يكفي الندم في التوبة كانت الحصيلة:

الإجابة	النسبة
نعم	٪٢٠,٦٥
كلا	٪ ٦٩,٣٥٤

والنصوص الدينية توكِّد أن الندم وحده لا يكفي بل لا بُدّ أن ينضم إليه بنود في برنامج التوبة إلى اللّه تعالى. نعم التوبة التي ضَمِنَ اللّه قبولها من العبد هي برنامج، وليست موقفاً آنيًّا يصدر عن الإنسان.

وقد حدّد الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام بنود هذا البرنامج حينما استغفر أحدهم اللّه تعالى أمامه معبِّراً عن توتبته إلى اللّه تعالى، فإذا بالإمام عليعليه السلام يقول له:...«أتدري ما الاستغفار؟! إن الاستغفار درجة العليين وهو اسم واقع على ستة معانٍ:

أولها: الندم على ما مضى.

الثاني: العزم على ترك العود إليه أبدًا.

الثالث: أن تُؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى اللّه سبحانه ليس عليك تبعة.

الرابع: أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدي حقها.

الخامس: أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السُّحت فتذيبه بالأحزان حتى تُلصق الجلد بالعظم وينشأ

بينهما لحم جديد.

السادس: أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول: استغفر الله.

١- الندم

وهو تعبير وجداني عاطفي يعبِّر عن مؤاخذة النفس على ما اقترفت من ذنوب.

٢- العزم

وهو عبارة عن الإرادة الصلبة القوية بأن لا يعود إلى ارتكاب الآثام.

٣- أداء حقوق الناس

في هذا البند بدأ وقت تسجيل برنامج التوبة.

فيا أيّها القارئ الحبيب، إنْ أردت أن تدخل في برنامج التوبة فأشعِرْ قلبك بالندم على ما فرطت واعقد العزم على الثبات في خط رضا اللّه تعالى واحمل قلماً وائت بورقة أو دفتر وحاول أن تستذكر حقوق الناس عليك؛ فإنّ التخلص من هذه الحقوق أمر في غاية الأهمية، فقد ورد عن أمير

المؤمنين عليه السلام في حديث عن الذنب: «... أمّا الذي لا يُغفر، فمظالم العباد بعضهم لبعض، إن الله تبارك وتعالى إذا برز لخلقه أقسم قسمًا على نفسه، فقال: «... وعزَّتي وجلالي لا يجوزني ظلمُ ظالم...»[1]

وفي حديث آخر للإمام زين العابدين في نقله عن أبيه الحسين عليه السلام عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا كان يومُ القيامة بعث الله تبارك وتعالى الناس من حُفَرِهم عزْلاً مُهْلاً جُرْداً مُرْداً في صعيد واحد تسوقُهم النار، وتجمعهم الظلمة حتى يقفوا على عقبة المحشر، فيركب بعضهم بعضًا ويزدحمون دونها، فيُمنَعون من المُضيّ، فتشتدُّ أنفاسُهم ويكثر عرَقُهم وتضيقُ بهم أُمورُهم، ويشتدُّ ضجيجُهم وترتفعُ أصواتُهم. قال: هو أوّل هَوْل من أهوال يوم القيامة. فيُشرفُ الجبّار تبارك وتعالى عليهم من فوق عرشه في ظلالٍ من

(١) المصدر السابق، ص ٤٤٣.

الملائكة، فيأمرُ ملَكًا من الملائكة فينادي فيهم: يا معشر الخلائق أَنصِتوا واستمعوا مناديَ الجبّار. قال: فيسمع آخرهم كما يسمع أوّلُهم. قال: فتنكسرُ أصواتهم عند ذلك وتخشعُ أبصارُهم وتضطربُ فرائصُهم وتفزعُ قلوبُهم، ويرفعون رؤوسَهم إلى ناحية الصوت مُهْطِعين إلى الداعي[١]. فعند ذلك يقول الكافر: ﴿هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ﴾[٢] قال: فيشرف الله عزَّ وجلَّ ذِكْرُه الحَكَمُ العدْلُ عليهم، فيقول: أنا الله لا إله إلاّ أنا الحكَمُ العدْلُ الذي لا يجور، اليوم أحكم بينكم بعدلي وقسطي، لا يُظلَم اليوم عندي أحد، اليوم آخذ للضعيف من القويّ بحقّه ولصاحب المظلمة بالقِصاص من الحسنات والسّيئات، وأُثيب على الهبات، ولا يجوز هذه العقبةَ اليوم عندي ظالمٌ ولأحد عنده مَظْلمةٌ إلاّ مظلمة يهَبُها لصاحبها، وأُثيبه عليها، وآخذ له بها عند الحساب، فتلازموا أيّها الخلائق

(١) أي يمدّون أعناقهم لسماع صوته. مُهْطِعين أي مسرعين وأهطع إذا مدّ عنقه.
(٢) سورة القمر، الآية: ٨.

واطلبوا مظالمكم عند من ظلمكم بها في الدنيا، وأنا شاهدٌ لكم بها عليهم وكفى بي شهيداً. قال: فيتعارفون ويتلازمون، فلا يبقى أحد له عند أحد مظلمة أو حقّ إلاّ لزمه بها. فيمكثون ما شاء اللّه، فيشتدُّ حالهم، فيكثر عرقهم ويشتدُّ غمُّهم وترتفع أصواتهم بضجيج شديد، فيتمنَّوْن المَخْلَصَ منه بترك مظالمهم لأهلها.

ويطلع اللّه عزَّ وجلَّ على جهدهم فينادي مناد من عند اللّه تبارك وتعالى يسمعُ آخرهم كما يسمع أوّلُهم: يا معاشر الخلائق أنصِتوا لداعي اللّه تبارك وتعالى واسمعوا، إنّ اللّه تبارك وتعالى يقول لكم: أنا الوهّاب، إن أحببتم أن تُواهبوا فتَواهَبوا وإن لم تُواهبوا أخذتُ لكم بمظالمكم. فيفرحون بذلك لشدّة جُهدهم، وضيق مسلكهم، وتزاحمهم. فيَهَبُ بعضُهم مظالمَهم رجاءَ أن يتخلّصوا ممّا هُم فيه، ويبقى بعضُهم فيقولون: يا ربُّ مظالمنا أعظم من أن نهَبَها.

قال: فينادي منادٍ من تلقاء العرش: أين رضوان خازن الجِنان، جِنان الفردوس؟ فيأمر الله عزَّ وجلَّ أن يُطلِعَ من الفردوس قصراً[١] من فضّة بما فيه من الآنية والخدم. فيُطلعه عليهم في حَفافة القصر والوصائف[٢] والخدم. فينادي منادٍ من عند الله تبارك وتعالى: يا معشرَ الخلائق ارفعوا رؤوسكم فانظروا إلى هذا القصر. قال: فيرفعون رؤوسهم فكلُّهم يتمنّاه. قال: فنادى منادٍ من عند الله تبارك وتعالى: يا معشرَ الخلائق، هذا لكلّ من عفى عن مؤمن. فيعفون كلُّهم إلاّ القليل.

قال: فيقول الله عزَّ وجلَّ: لا يجوز إلى جنتي اليوم ظالم، ولا يجوز إلى ناري اليوم ظالم، ولأحد من المسلمين عنده مظلمة حتى يأخذها منه عند الحساب، أيُّها الخلائق استعدّوا للحساب. ثمّ يُخلي سبيلهم،

(١) أي يظهره لهم.
(٢) الوصائف: جمع الوصيفة أي الجارية.

فينطلقون إلى العقبة يَكْرُدُ[١] بعضُهم بعضاً حتى ينتهوا إلى العرصة، والجبّار تبارك وتعالى على العرش، قد نُشِرَت الدواوين، ونُصِبَت الموازين، وأُحضر النبيّون والشهداء وهم الأئمّة، يشهد كلُّ إمام على أهل عالمه بأنّه قد قام فيهم بأمر الله عزَّ وجلَّ ودعاهم إلى سبيل الله».

أظن أن هذه الرواية تُحفِّزك أيها القارئ الحبيب لتستذكر كل حق للآخر عليك ولم تؤدّه، سواء كان في أخذ مال بغير حق، حتى لو كان من الأب بدون علمه، أو من الزوج كذلك بدون علمه، أو كان بإتلاف مال للآخر ككسر زجاج منزل أو اصطدام سيارة متوقّفة، أو كان أمانةً قديمة لم تعرف بسبب ظروف ما...إلخ

وحكم ردّ حقوق الناس يشمل ما أخذه أو فعله الإنسان في أموال الآخرين وهو صغير لم يبلغ مرحلة التكليف، فإنّه في صغره وإن كان لا يأثم ولا يُسجّل عليه العقاب، إلا أنه

(١) الكرد: الطرد والدفع.

حينما يكبر ويبلغ يكون مسؤولاً عن كل فعل قام به يتعلّق بحقوق الآخرين.

أيها القارئ الحبيب استذكر جيداً، وسجّل كل ذلك، ثم اسعَ لردِّ حقوق أولئك الناس.

قد يكون الأمر محرجاً للإنسان من خلال الصعوبة المعنوية في كشف شخصيته السابقة أمام الآخرين. لكنَّ اللّه تعالى خفّف عن التائب ولم يطلب منه أن يكشف نفسه، فإنه يستطيع أن يوصل الحق بأية طريقة يضمنها بدون الحاجة أن يعرف الآخر القصّة الكاملة لهذا الحق.

وفي حال لم يتمكن التائب من معرفة صاحب الحقّ، أو من الوصول إليه، فهناك طريق آخر رسمته الشريعة الإسلامية وهو التصدّق بهذا المال بإذن الحاكم الشرعي- إلى الفقراء عن نيّة صاحبه، ليكون هذا الفعل جواباً لصاحب الحق حينما يسأله عنه يوم القيامة. وهذا ما يسمّى بردّ المظالم.

النراقي والتفاحة

وأختم ما يتعلّق بهذا البند الثالث من برنامج التوبة بقصة لطيفة تتعلّق بوالد أحد كبار علماء الأخلاق وهو صاحب جامع السعادات.

إذ يروي أن شاباً مؤمناً كان يمشي قرب بستان تفاح، فوجد تفاحة على الطريق وكان جائعاً فأكلها، ثم التفت متسائلاً عن مدى شرعيّة العمل الذي قام به، وقرّر أن يتسامح من صاحب البستان، فذهب إليه طالباً منه المسامحة، ورغم أنَّ صاحب البستان كان يمتاز بأخلاق حسنة إلا أنّه أجابه قائلاً:إنْ كانت التفاحة من بستاني، فإنّي اسامحك إلا أنّ هناك بستاناً آخر يقع في الناحية الأعلى من بستاني ويمكن أن تكون التفاحة قد سقطت من ذلك البستان.

وبعد سؤال ذلك الرجل عن صاحب البستان الأعلى تبيّن أنه في مدينة أُخرى بعيدة جداً. فما كان من ذلك الشاب المؤمن إلا أن سافر إلى تلك المدينة سائلاً عن

صاحب البستان، ليلتقيه قاصاً عليه ما جرى معه.

وهنا كانت المفاجأة، إذ قال صاحب ذلك البستان: إن كانت التفاحة من بستاني فأنا لا أسامحك إلا بشرط، فسأله الشاب: وما هو شرطك؟ أجابه: لديَّ ابنة عمياء صمَّاء بكماء، فإن قبلت أن تتزوجها أسامحك.

ولأن همّ الشاب وقضيته الأساسية هو أن يسامحه صاحب التفاحة ليبرئ ذمته أمام اللّه تعالى قبل بذلك الشرط.

وفعلاً عقد الأب قران ابنته على الشاب، وكانت المفاجأة في اللقاء الأول بينه وبين الفتاة، إنها لا تشكو من أية عاهة، بل هي أجمل وأكمل فتاة في تلك المدينة.

وكان أبوها يريد أن يزوِّجها ممن يثق بإيمانه فرأى ذلك في الشاب المؤمن، فكان الزواج المبارك ليلدا العلاّمة النراقي أستاذ الأخلاق عند الشيعة.

أداء حقوق اللّه تعالى

أيها القارئ الحبيب الذي يريد إعادة قلبه بالبياض الذي ولدته فيه أمه من خلال التوبة إلى اللّه تعالى:

افتح صفحة ثانية من دفتر التوبة لتسجل فيه عناوين حقوق اللّه تعالى عليك، وحاول أن تستذكر كمْ فاتَك منها، لتستدركه في حياتك.

وسأحاول مساعدتك من خلال إبراز أهم تلك الحقوق الإلهية:

أ- الصلاة اليومية

من سن البلوغ إلى اليوم الذي عدت فيه إلى اللّه تعالى لتتقرّب منه بصلاتك.

أحسب كم عليك منها على نوعيها، صلاة التمام وصلاة القصر.

ودوِّن ذلك على تلك الصفحة.

ب- صلاة الآيات (كسوف، خسوف، زلازل).

أحسب كم عليك منها ودوِّنه.

ج- الصوم

دوّن كم فاتك منه.

وإن كان ما فاتك بسبب إفطار عمدي بغير عذر. فعليك أن تضيف إلى ذلك كفّارة عن كل يوم وما لم تقضه خلال سنة أضف إليه فدية تأخير.

د-الزكاة

إن مضى عليك أعياد فطر لم تدفع فيها زكاة فطرة فدوِّنها وإن كانت لديك ما فيه زكاة مال فاحسب ذلك ودوّنه[١].

هـ -الخمس

إن كنت تملك مالاً من كسب زاد عن ما احتجت من مصروف وقد مرَّ عليه عام، فعليك أن تراجع وليَّ الخمس وهو الحاكم الشرعي أو وكيله لتفرِّغ ذمتك من الخمس الواجب عليك.

---

(١) ينحصر وجوب زكاة المال بالقمح والشعير والتمر والزبيب والغنم والبقر والإبل والذهب والفضّة والمسكوكين بسكة المعاملة، ويوجد نصاب وحدٌّ لوجوب الزكاة في هذه الأشياء مذكورة في الكتب الفقهية.

هذه نماذج من الحقوق الأساسية التي قد يكون الإنسان ضيَّعها في حياته السابقة. عليك أيها القارئ الحبيب أن تدخل في برنامج قضائها لتكون محقّقاً للبند الرابع من برنامج التوبة.

و- إذابة لحم السحت

السحت هو المال الذي مقابله حرام كما يوضح ذلك الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله الوارد عنه: **«السحت ثمن الميتة وثمن الكلب، وثمن الخمر، ومهر البغي، والرشوة في الحكم، وأجر الكاهن»**[١].

فإذا كان التائب الذي كان عصى في ماضيه قد أكل السحت حتى نبت لحمه عليه، فشرط توبته في حديث أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يذيب هذا اللحم النابت عن الحرام بحزنه على ما اقترف من ذنوب، لينبت لحم جديد ينبت عن طاعة اللّه تعالى.

(١) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ج٦، ص٤٠٦.

ز- إذاقة الجسم ألم الطاعة

لعلّ كلام اللّه في البند السادس من برنامج التوبة يريد منه أن تكون التوبة متناسبة مع الحرام الذي ارتكب الإنسان في ما مضى. فندَمُ القلب واستغفارُ اللسان وإن كانا مهمَّين إلاّ أنّهما لا يكفيان في التوبة النَّصوح، لا سيَّما في الذنوب الكبيرة التي اقترفها الإنسان في حياته، فحينما يكون الذنب كبيراً لا بدّ أن تتناسب التوبة معه ولن أطيل كثيراً في بيان هذا الأمر، بل سأترك بيانه لقصّة حدثت في عهد رسول اللّه ﷺ مع شابّ تاب بعد معصية خطيرة، فجاء إلى رسول اللّه ﷺ يسأله هل تُقبل توبته؟

فماذا كان جواب رسول اللّه ﷺ؟!!

فلنتابع معاً هذه القصّة

دخل مَعاذُ بن جبل ذات مرّة على رسول اللّه باكياً، فسلَّم فردّ ﷺ، ثمّ قال: «**ما يُبكيك يا معاذ؟**» قال: إنّ بالباب شابّاً طريّ الجسد، نقي اللون حسن الصوت يبكي

على شبابه بكاء الثكلى على ولدها يريد الدخول عليك، فقال النبيّ ﷺ: «أَدخِل عليّ الشابّ يا معاذ»، فأدخله عليه فسلَّم عليه فردّ عليه السلام ثمّ قال: «ما يُبكيك يا شابّ؟» قال: كيف لا أبكي وقد ركبت ذنوباً إن أخذني الله عزَّ وجلَّ ببعضها أدخلني نار جهنّم؟! ولا أراني إلاّ سيأخذني بها ولا يغفر لي أبداً!!

فقال رسول الله ﷺ: «هل أشركت بالله شيئاً؟»

قال: أعوذ بالله أن أُشرِك بالله شيئاً!

قال ﷺ: «أقتلتَ النفس التي حرَّم الله؟»

قال: لا.

قال ﷺ: «يغفِرُ الله ذنوبك وإن كانت مثل الجبال الرواسي».

قال الشابّ: فإنّها أعظم من الجبال الرواسي.

قال ﷺ: «يغفِرُ الله ذنوبك وإن كانت مثل الأرضين السبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق».

قال: فإنّها أعظم من الأرضين السبع وبحارها ورمالها

وأشجارها وما فيها من الخلق.

قال ﷺ: «**يغفِرُ الله ذنوبك وإن كانت مثل السماوات ونجومها ومثل العرش والكرسيّ**».

قال: فإنّها أعظم من ذلك.

فنظر النبيّ ﷺ كهيئة الغضبان ثمّ قال: «**ويحك يا شابّ، ذنوبك أعظم أم ربُّك؟**» فخرَّ الشاب لوجهه وهو يقول: سبحان الله ربّي، ما شيء أعظم من ربّي، ربّي أعظم يا نبيَّ الله من كلّ عظيم.

فقال النبيّ ﷺ: «**فهل يغفر الذنبَ العظيم إلاّ الربُّ العظيم؟**»

قال الشابّ: لا والله يا رسول الله، ثم سكت الشابّ، فقال النبيّ ﷺ: «**ويحك يا شابّ، ألا تخبرني بذنب واحد من ذنوبك؟**»

قال: بلى أخبرك، إنّي كنت أنبش القبور سبع سنين، أُخرج الأموات وأَنزِع الأكفان، فماتت جارية من بعض بنات الأنصار، فلمّا حُمِلَتْ إلى قبرها ودُفِنَت وانصرف

عنها أهلها وجَنَّ عليهم الليل أتيتُ قبرها، فنبشتُها ثمّ استخرجتُها، ونزعت ما كان عليها من أكفانها، وتركتها متجرّدة على شفير قبرها، ومضيت مُنصرفاً، فأتاني الشيطان فأقبَلَ يُزيّنُها إليّ ويقول: أما ترى بطنها وبياضها؟ أما ترى وِركَيها؟ فلم يزل يقول لي هذا حتى رجعتُ إليها، ولم أملك نفسي حتى جامعتها، وتركتها مكانها، فإذا أنا بصوت من ورائي يقول: يا شابّ، ويلٌ لك من ديَّان يوم الدّين، يوم يقِفُني وإيّاك كما تركتني عريانة في عساكر الموتى، ونزعتني من حفرتي، وسلبتني أكفاني، وتركتني أقوم جُنُباً إلى حسابي، فويلٌ لشبابك من النار.

فما أظنُّ أنّي أشمُّ ريح الجنّة أبداً، فما ترى لي يا رسول الله؟

فقال النبيّ ﷺ: «**تنحَّ عنّي يا فاسق، إنّي أخاف أن أحترق بنارك، فما أقربك من النار!**» ثمّ لم يزل ﷺ يقول ويُشير إليه حتى أمعن من بين يديه.

فذهب فأتى المدينة فتزوَّد منها، ثمّ أتى بعضَ جبالها

فتعبَّد فيها، ولبس مِسْحاً وغلَّ يديهِ جميعاً إلى عنقه ونادى:

يا ربّ! هذا عبدك بُهلول بين يديك مغلول.

يا ربّ! أنت الذي تعرفني، وأزِل منّي ما تعلم سيّدي..

يا ربّ! أصبحت من النادمين وأتيت نبيّك تائباً فطردني وزادني خوفاً، فأسألك باسمك وجلالك وعظمة سلطانك أن لا تُخيِّب رجائي، سيّدي، ولا تبطل دعائي ولا تؤيِّسني من رحمتك.

فلم يزل يقول ذلك حتى تمت له أربعون يوماً وليلة فرفع يديه إلى السماء وقال:

اللّهمّ ما فعلتَ في حاجتي؟ إن كنتَ استجبتَ دعائي، وغفرتَ خطيئتي فأوحِ إلى نبيِّك، وإن لم تستجب لي دعائي ولم تغفر لي خطيئتي وأردتَ عقوبتي، فعجِّل بنار تُحرقُني أو عقوبة في الدنيا تُهلكني، وخلّصني من فضيحة يوم القيامة.

فأنزل اللّه تبارك وتعالى على نبيّه ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ

إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، يقول عزَّ وجلَّ: «أتاك عبدي يا محمّد تائباً فطردته فأين يذهب؟ وإلى من يقصد؟ ومن يسأل أن يغفِر له ذنباً غيري؟» ثمّ قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ﴾.

فلمّا نزلت هذه الآية على رسول اللّه ﷺ خرج وهو يتلوها ويبتسم، فقال لأصحابه: «من يدلّني على ذلك الشابّ التائب؟» فقال معاذ: يا رسول اللّه بلغَنا أنّه في موضع كذا وكذا. فمضى رسول اللّه ﷺ بأصحابه حتى انتهوا إلى ذلك الجبل، فصعِدوا إليه يطلبون الشابّ، فإذا هم بالشابّ قائم بين صخرتين، مغلولة يداه إلى عنقه، وقد اسودَّ وجهه، وتساقطت أشفار عينيه من البكاء. فدنا رسول اللّه ﷺ فأطلق يديه من عنقه ونفض التراب عن

رأسه، وقال: يا بُهلول أبشر، فإنّك عتيق اللّه من النار.

ثمّ قال لأصحابه: «**هكذا تداركوا الذنوب كما تداركها بهلول، ثمّ تلا عليه ما أنزل اللّه عزَّ وجلَّ فيه وبشَّره بالجنّة**»[١].

(١) الكاشاني، تفسير الصافي، (لا، ط) منشورات الأعلمي، بيروت، ج١، ص٣٨٢، ٣٨٤.

هلُمَّ نصلِّ صلاة التوبة

بعد أن عرفنا معنى التوبة وتعرَّفنا على شروطها فلنعلن للّه تعالى التوبةَ النَّصوح، ولْنَشْرع بعمل علَّمَنا إيّاه نبيُّنا الأعظم ﷺ حينما خرج يوم الأحد في شهر ذي القعدة، فقال:

«أيّها الناس، من كان منكم يريد التوبة؟»

فأجاب المسلمون: كلُّنا نريد التوبة يا رسول اللّه.

فقال ﷺ: «اغتسلوا، وصلّوا أربع ركعات واقرأوها في كلّ ركعة فاتحة الكتاب مرّة، وقُلْ هو اللّه أحد ثلاثَ مرّات، والمعوذتين مرّة، ثمَّ استغفروا سبعين مرّة، ثمّ اختموا بـ(لا حولَ ولا قوة إلاّ باللّه العليّ العظيم)، ثمّ قولوا: يا عزيز، يا غفّار، اغفر لي ذنوبي، وذنوب جميع المؤمنين والمؤمنات فإنّه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت».

ثمّ قال ﷺ: «ما من عبد من أمتي فعل هذا إلاّ نُوديَ من السماء: يا عبد الله استأنف العمل، فإنّك مقبول التوبة، مغفور الذنب. وينادي ملَكٌ من تحت العرش، أيّها العبد بورك عليك، وعلى أهلك، وذريتّك.

وينادي منادٍ آخر: أيّها العبد! ترضي خصماءك يوم القيامة.

وينادي ملك آخر: أيّها العبد! تموت على الإيمان، ولا يُسلَبُ منك الدين، ويُفسح في قبرك، ويُنَوَّرُ فيه.

وينادي منادٍ آخر: أيّها العبد! يَرضَى أبواك، وإن كانا ساخطين، وغُفِرَ لأبويك ذلك، ولذريتّك، وأنت في سَعة من الرزق في الدنيا والآخرة.

وينادي جبرئيل عليه السلام: أنا الذي آتيك مع ملك الموت عليه السلام وآمره أن يرفق بك، ولا يخدِشَك أثرُ الموت إنّما تخرج الروح من جسدك سَلًّا.

قال المسلمون: يا رسول الله! لو أنّ عبداً يقول في غير هذا الشهر؟

فقال ﷺ: «**مثل ما وصفت، وإنّما علّمني جبرائيل عليه السلام هذه الكلمات أيَّام أُسْرِيَ بي**»(١).

فلتكن هـذه الصلاة الفاصل بين قلب يتقلّب من قلق انتسابه بسبب ماضٍ أسود وقلبٍ مطمئن بذكر اللّه التوّاب.

٧- الذاكر للّه تعالى والقلق من الموت وما بعده

لماذا يقلق المُعرض عن ذكر اللّه تعالى من الموت؟

والجواب أن سبب قلقه:

أ- إما أنّه يعتقد بأن الموت ينقله إلى الفناء، فيخسر الوجود.

ب- وإما أنه يجهل ماذا سيحل به بعد الموت، فهو يخاف من الدخول إلى عالم المجهول.

ج- وإما أنه لم يجهِّز نفسه لذلك العالم بسبب اقترافه الآثام والمعاصي.

---

(١) الميرزا التبريزي، السير إلى اللّه، تحقيق ونشر الموسوي، قُم، ص١١٥. ابن طاووس، اقبال الأعمال، (لا،ط)، منشورات دار الحجّة، بيروت، (لا،ت)، ص٦١٤.

وكلٌّ من هذه الأمور الثلاثة مُقلقٌ من الموت وما بعده.

أمّا الذاكر للّه تعالى فهو يذكر صفة العدل للّه عزّ وجل التي لا يمكن أن تنسجم مع عدم وجود آخرة فيها حساب، وإلا كيف نتفهم عدالة اللّه تعالى من دون حساب ا لآخرة حينما نرى ظالماً يطغى في ظلمه ويستمر فيه طيلة حياته ثم يموت على فراش وثير، مع ذلك المظلوم الذي قضى سنين عديدة من حياته معذَّباً في غياهب السجون؟

وهذا ما أرشد إليه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[1].

والذاكر للّه تعالى يذكر صفة الحكيم للّه تعالى الذي لا يمكن أن يكون خلق هذه الدنيا بكل تعبها وعنائها بدون أن

(١) سورة الجاثية، الآيتان ٢١-٢٢.

يكون هناك حياة أُخرى مختلفة عنها بكمالها تكون غاية لهذه الدنيا كما أرشد إلى ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[١].

من هنا فإن الذاكر للّه تعالى يعتقد بأن الموت ينقله إلى عالم حقيقي، يشعر بحياته ووجوده فيه بشكل أقوى فالسببان الأول والثاني عنده منتفيان.

إنّ حال المُعرض عن ذكر اللّه تعالى للسببين الأولين كحال الجنين في رحم أمه في ما لو افترضنا أن اللّه تعالى أعطاه قوة الفهم ولغة الحوار، فحاورناه سائلين: كم ترى حجم الدنيا؟

فإنه سيجيب: إن حجمها بحجم رحم أمي هذه.

فلو قلنا له أيها الجنين: إن هناك حياة هي أوسع بكثير من رحم أمك، فيها الأطعمة اللذيذة، والأشربة الممتعة، والمساحات الشاسعة و...، فإنه لن يصدِّق؛ لأنه اعتاد على طعام وشراب واحد هو الدم، ولا يعتقد أن هناك مذاقاً

(١) سورة المؤمنون، الآية ١١٥.

غيره، واعتاد على وعاء واحد هو الرحم ولا يظن وجود وعاء أكبر منه. من هنا يحلِّل البعض حركة الجنين تحليلاً يجمع فيه بين الفكر والشعر، وذلك حينما تأتي القابلة تريد أن تخرجه من رحم أمه فيتشبَّث به، إن مجيء القابلة يُقلقه، إنه لا يريد الخروج لأنه لا يعتقد بعالم آخر، فتراه يتشبث برحم أمه وحينما يخرج منه مشاهداً دنيا خارج الرحم فإنه يصرخ صرخة المفاجأة.

فلو أن هذا الجنين كان يعتقد بهذه الحياة لسلَّم نفسه إلى القابلة.

وهكذا هو حال الإنسان مع الموت، «**فقسوة نزع الروح هي لشدّة تعلّق الإنسان بها. وسلُّ الروح كما تسل الشعرة من الدقيق**»[1] هو لتسليم الإنسان نفسه للملك الذي سينقله إلى حياة يعتقد بها.

أمّا السبب الثالث للقلق من الموت وهو عدم الجهوزية والإعداد له، فهو حال أكثر الناس.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٦، ص ١٤٣.

ومن جميل ما ورد أن البعض سأل الصحابي أبا ذر رَحِمَهُ ٱللَّهُ قائلاً: مالنا نكره الموت؟ فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«لأنكم عمَّرتم الدنيا وخرَّبتم الآخرة فتكرهون أن تنتقلوا من عمران إلى خراب»**[1].

أمّا الذاكر للّه تعالى فهو يعدُّ نفسه إعداداً يجعله يأمل خيراً بالحياة الآخرة لا سيّما حينما يعيش الذاكر حالة الحبّ والعشق للّه تعالى، فإنّ الحبيب يحبُّ لقاء حبيبه.

ورد أنه: **«لما أراد اللّه تبارك وتعالى قبض روح إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أهبط اللّه ملك الموت فقال: السلام عليك يا إبراهيم، قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: وعليك السلام يا ملك الموت أداع أنت أم ناع؟ قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: بل داع يا إبراهيم، فأجب، قال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: فهل رأيت خليلاً يميت خليله؟ فرجع ملك الموت حتى وقف بين يدي اللّه جل جلاله فقال: إلهي سمعت ما قال خليلك إبراهيم، قال**

(١) المصدر السابق، ج٦، ص ١٣٧.

الله جل جلاله: يا ملك الموت إذهب إليه، وقل له: هل رأيت حبيباً يكره لقاء حبيبه، إن الحبيب يحبُّ لقاء حبيبه»[١].

وفي قصة معبّرة عن هذا الحب للقاء الله حصلت مع مؤمن من بني إسرائيل في وقتٍ كان ملك الموت مأموراً أن يقبض روحه وروح أحد الملوك الذي أراد أن يقوم برحلة فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتّى لبس ما أعجبه بعد مرَّات، وكذلك طلب دابّة فلم تعجبه حتّى أُتي بدوابّ فركب أحسنها، فجاء إبليس فنفخ في منخريه نفخة فملأه كبراً، ثم سار وسارت معه الجنود، وهو لا ينظر إلى الناس كبراً، فجاءه رجل رثُّ الهيئة، فسلّم عليه، فلم يردَّ السلام، فأخذ بلجام دابّته فقال له الملك: أرسل اللجام، فقد تعاطيت أمراً عظيماً، فأجابه ذلك الرجل: إنَّ لي إليك حاجة قال: اصبر حتى أنزل، قال: لا، الآن فقهره على لجام

(١) شبَّر، عبد الله، تسلية الفؤاد، ص ١٧.

دابّته فقال: اذكرها، قال: هي سرٌّ، فأدنا إليه رأسه فسارَّه فقال: أنا ملك الموت، فتغيّر لون الملك واضطرب لسانه، ثم قال: دعني حتّى أرجع إلى أهلي فأقضي حاجتي وأودِّعهم قال: لا واللّه، لا ترى أهلك وثقلك أبداً، فقبض روحه فخرَّ كأنه خشبة، ثم لقي مؤمناً في تلك الحال، فسلّم عليه فردَّ السلام فقال: إن لي إليك حاجة أذكرها في أذنك فقال: هات، فسارَّه فقال: أنا ملك الموت، فقال: مرحباً وأهلاً بمن طالت غيبته عليَّ، فواللّه ما كان في الأرض غائب أحبُّ إليَّ أن ألقاه منك، عندها عرض عليه ملك الموت أن يذهب لقضاء حاجته، ثم بعد ذلك يقبض روحه، لكن ذلك الرجل المؤمن أجابه: مالي حاجة أكبر عندي ولا أحبّ من لقاء اللّه. فقال له ملك الموت: فاختر على أيِّ حال شئت أن أقبض روحك فقال: تقدر على ذلك؟ قال: نعم، إنّي أُمرت بذلك، قال: فدعني حتّى أتوضّأ وأصلي ركعتين فاقبض

روحي، وأنا ساجد، فقبض روحه وهو ساجد[١].

ومن أروع صور حبّ لقاء اللّه تعالى ما سطَّره أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في مسيرته الجهادية، فكان من بداية تلك المسيرة حينما يبقى بعد المعركة حياً يذهب إلى رسول اللّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شاكياً، وكان جواب رسول اللّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ له: **«أبشر فإنّ الشهادة من ورائك»**.

ومن تلك الشكاوى قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ لرسول اللّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعد النصر: **«يا رسول اللّه أوليس قد قلت لي يوم أُحُد حيث استشهد من المسلمين من استشهد وميزت عني الشهادة، فشقّ ذلك عليّ، فقلت لي: أبشر فإنّ الشهادة من ورائك»**.

فأجابه رسول اللّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ **«إن ذلك لكذلك فكيف صبرك إذا»**؟

(١) الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد اللّه، حلية الأولياء وطبقة الأصفياء، (لا، ط)، بيروت، دار الفكر، (لا، ت)، ج٦ ص ٢٠٢.

فقال علي عَلَيْهِ السَّلَامُ : «**يا رسول الله، ليس هذا من مواطن الصبر، ولكن من مواطن البشرى والشكر**»[١].

ومرّت السنون وبقي عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ينتظر لقاء اللّه إلى أن دخل المسجد في شهر اللّه، وفيما هو يصلّي شعر بضربة السيف على رأسه، فقال معبّراً عن ذلك الحبّ: «**فزتُ وربّ الكعبة**».

وها هو ولده الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ينظر إلى الموت نظرة جمال، فيراه في إحاطته للإنسان كالقلادة على جيد الفتاة، فيقول: «**خُطّ الموت على ولد آدم مخطَّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب ليوسف..**»[٢].

وحينما يقترب من رحيل الشهادة ويتعجب من يراه، لما يشاهده من بهائه وهدوئه وسكينته يقول لهم: «**صبراً بني الكرام، فما الموت إلا قنطرة يعبر بكم عن البؤس**

---

(١) نهج البلاغة ج٢ خطبة ١٥٦.
(٢) المقرّم، عبد الرزّاق، مقتل الحسين، ط٢، قم، دار الثقافة، ١٤١١هـ، ص ١٦٦.

والضراء إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائمة، فأيكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر، وما هو لأعدائكم إلا كمن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب، إن أبي حدّثني عن رسول الله ﷺ: إن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، والموت جسر هؤلاء إلى جنانهم، وجسر هؤلاء إلى جحيمهم»[1].

ولذا كان آخر فعل قام به الإمام الحسين عليه السلام قبيل حزِّ رأسه الشريف أنّه ابتسم، كما ورد في بعض الروايات.. ابتسم بعد أن علَّم أهل بيته كيف يبتسمون للموت، حتّى الصغار منهم، فها هو القاسم ابن الحسن الذي لم يبلغ الحِلم سأله عمّه الحسين عليه السلام: «كيف ترى الموت يا عمّ؟» فأجاب: «إنّي أرى الموت أحلى من العسل».

ابتسم الإمام الحسين عليه السلام للموت في كربلاء بعد أن علَّم أصحابه كيف يبتسمون له، فها هو برير قبيل شهادته

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٦، ص ١٥٤ (وفيه: الواسطة بدل الواسعة).

يضاحك عبد الرحمن الأنصاري، فقال له عبد الرحمن: يا برير، ما هذه ساعة باطل، فقال برير: «**لقد علم قومي أنّي ما أحببت الباطل كهلاً ولا شابًّا، وإنّما أفعل ذلك استبشارًا بما نصير إليه، فوالله ما هو إلاّ أن نلقى هؤلاء القوم بأسيافنا نعالجهم بها ساعة، ثم نعانق الحور العين**»[1].

رحم الله شهداءنا الذين تعلموا من أمير المؤمنين عليه السلام حبّ لقاء الله تعالى، ومن الإمام الحسين عليه السلام كيف يبتسمون للموت، فسطّروا ذلك الحبّ في وصاياهم المعبِّرة.

قرأت في وصيّة أحد شهداء المقاومة الإسلامية في لبنان: «**يجب أن أطرق باب الموت، أوليست المنية تداهم الإنسان مرة واحدة، فلماذا لا أذهب وراءها؟! وكم هو جميل وعذْب الموت في سبيل الله.. ما وجدت طريقاً أقصر من الشهادة لأصل إلى الجنّة**».

(١) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، (لا، ط)، بيروت، دار التعارف، (لا، ت)، ج١، ص٦٠١ - ٦٠٢.

الخلاصة

إنّ من أراد أن يحيا سعيداً، فليبحث عن ما يحقّق اطمئنان قلبه وإبعاده عن تعبٍ كثير لا يتناسب مع حجم اللذّة، وعن قلقٍ مزعج تارة يتعلّق بتحقيق ما يريد من نتائج، فإن وصل إليها يتعلّق بالمحافظة عليها، وتارةً يتعلّق بالخوف من بلاء يحلّ به، وتارةً يتعلّق بماضٍ اقترف فيه ما يخيفه من تبعاته، أو بمستقبل يخاف منه فقدان وجودٍ أو أمراً لم يعدّ نفسه له...

ولن يجد اطمئنان قلبه هذا من كلِّ هذه المنغِّصات إلا بذكر اللّه تعالى.

فإنه حينما يستحضر اللّه عزّ وجل من خلال أسمائه وصفاته بعقله وقلبه، فإنّ تعبه سيواكبه فرحة الثواب، وإنَّ قلقه سيزيله وضوح التكليف وعظيم التعويض وضمانة الستر، وحبّ لقاء الحبيب.

من هنا يعيش الذاكر للّه تعالى طمأنينة قلبه، ويشعر

بلذة ذلك الذِّكر، وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله الوارد عنه: «ذكر الله مسرّة كل متّقٍ، ولذّة كل موقن»[١].

ولذا كان ذكر الله تعالى في المرتبة الأولى عند الله عزّ وجل في مقصد الإنسان، فقال الله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[٢].

ولذا دعا الله تعالى أن نكثر ذكره؛ لدخالة ذلك في سعادة الإنسان وكماله، فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، وقال تعالى: ﴿كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾[٣]

وها هو أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يرشدنا إلى أن نكون ممن تعمر حياتهم بذكر الله تعالى من خلال تلك الكلمات النورانية في دعاء كميل: «أسألك بحقِّك وقدسك وأعظم

(١) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ج٢، ص ٩٦٥.
(٢) سورة العنكبوت، الآية ٤٥.
(٣) سورة الأحزاب، الآية ٤١.

صفاتك وأسمائك أن تجعل أوقاتي في الليل والنهار بذكرك معمورة...».

أنواع الذِّكر

إنَّ الذِّكر الـذي تقدّم الحديث عنه في ما مضى كان يدور حول معناه الأساس الذي نلخصّه هنا، ونعقِّبه بأنواع أخرى للذكر.

١- الذِّكر بالعقل

فالعقل حينما يذكر اللّه تعالى باستحضار أسمائه وصفاته، يحلُّ بهذا الـذِّكـر كثيراً مـن الأسئلة المقلقة المرتبطة بالعقيدة والفكر، فيسكن العقل ويطمئن لأجوبة الذِّكر، ليكتب سكينته وطمأنينته على لوح القلب، فينتقل الإنسان إلى ذكر آخر هو:

٢- الذِّكر بالقلب

فالقلبُ بذكره اللّه تعالى أسماءً وصفات ينجذب إلى الكمال المطلق محلِّقاً في حبل وصاله الأسرع وهو صراطه

المستقيم الذي تذوب فيه أِلفُ العذاب، فيدوم وصف العذب في كلِّ مذاقه.

٣- الذِّكر باللسان

حينما يعشق القلبُ اللّه تعالى ينجذب اللسان باللهج بكلماته وأسمائه وصفاته وكما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**من أحبَّ شيئاً لهج بذكره**»[١]

لذا ترى الذاكر للّه تعالى يقرأ القرآن الكريم مستأنساً به ملبِّياً دعوة رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**عليك بتلاوة القرآن وذكر الله كثيراً، فإنه ذكرٌ لك في السماء ونور لك في الأرض**»[٢].

ويتفنَّن بالدعاء إلى اللّه تعالى بفنون الدعوات، متغنِّياً بصفات اللّه تعالى مؤكِّداً علاقته به من خلال تعزيز معرفته به كما ورد في دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام:

«**الحمد الله الأول بلا أول كان قبله، والآخر بلا آخر يكون**

---

(١) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ج١، ص ٤٩٨.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٩٢، ص ١٩٨.

بعده، الذي قصرت عن رؤيته أبصار الناظرين، وعجزت عن نعته أوهام الواصفين. ابتدع بقدرته الخلق ابتداعاً، واخترعهم على مشيته اختراعا، ثم سلك بهم طريق إرادته، وبعثهم في سبيل محبته لا يملكون تأخيراً عما قدَّمهم إليه، ولا يستطيعون تقدماً إلى ما أخَّرهم عنه».

ويحبُّ أن يطيل ذكر اللّٰه تعالى على لسانه تأسياً بكليم اللّٰه موسى الذي سأله ربه: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾[1].

فالملاحظ أنّ سؤال اللّٰه تعالى يقتصر على تسمية ما في يده، ويكفي في الجواب أن يقول عصا، لكن لماذا عقّب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه يتوكأ عليها وأنه يهش بها على غنمه وأنه له فيها مآرب أخرى؟ قالوا: لأن موسى عرف أنَّه يتحدّث مع الحبيب فأحبَّ أن يطيل الحديث معه.

(١) سورة طه، الآيتان ١٨،١٧.

٤- الذِّكر بالعين

وحينما يعشق القلب تنجذب العين إلى المعشوق.

فالعين تسعد برؤية المعشوق إن كان يرى، بل تسعد بكلِّ ما يتعلّق به، فتراها دامعةً إن شاهدت صورته، وفرحةً إن قرأت رسالته، ومنجذبةً إلى آثاره، كحال قيس حينما مرَّ على منزل عشيقته ليلى فأنشد قائلاً:

أمــــرُّ عــلــى الـــديـــار ديـــار لـيـلـى
أقـبِّــل ذا الــجــدار وذا الــجـدار
ومـــا حــــبُّ الــديـــار شــغـفـن قـلـبـي
ولــكــن حـــبّ مـــن ســكــن الــديــار

من هنا فإن عشق قلب ذاكر اللّٰه تعالى يجري في عشق عينيه حينما يرى اللّٰه تعالى وهو الذي لا يُرى بالبصر- ببصيرة قلبه في كل شيء تبصره عينه أو قبله أو معه، كما عبَّر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قائلاً- في ما ورد عنه-: «**لم أعبد رباً لم أره، ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله فيه أو قبله أو معه**»[١].

(١) الريشهري، محمد، موسوعة العقائد الإسلامية، ط١، قم، دار الحديث، ١٤٢٥هـ، ج٣، ص ٧٦.

لذا يغمر العين السعادة:

أ- حينما تنظر إلى كتاب اللّه تعالى تلك النظرة التي يُحبّها اللّه تعالى حتى اعتبرها عبادة في الحديث النبوي: «**النظر إلى القرآن... عبادة**»[١].

رحم اللّه الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ حينما طلب منه الطبيب بعد عملية جراحية في أواخر عمره الشريف أن لا يقرأ حتى القرآن الكريم، وذلك لمعرفة الطبيب بمواظبة الإمام قُدِّسَ سِرُّهُ على قراءة الكتاب العزيز ، فإذا بالإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ يجيبه: «**أنا لم أقبل الخضوع لهذه العملية إلا لأقرأ القرآن**».

ب- وحينما تدمع من خشية اللّه تعالى الدمعة التي ورد فيها سؤال الكليم عَلَيْهِ السَّلَامُ وجواب اللّه تعالى له حينما سأل النبي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ربَّه: «**يا إلهي، ما جزاء من دمعت عيناه من خشيتك؟ قال تعالى:**

(١) الشاهرودي، علي النمازي، مستدرك سفينة البحار، تحقيق حسن بن علي النمازي، (لا،ط)، قم، مؤسسة الناشر الإسلامي، ١٤١٩هـ، ج١٠، ص٨٦.

أقي وجهه من حرِّ النار، وأؤمِّنه من الفزع الأكبر»[١]

ج- وحينما تسهر في سبيل اللّه تعالى السهر الذي ورد في حديث رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: **«حرّمت النار على عين سهرت في سبيل اللّه»**[٢].

إنّ الذاكر للّه تعالى العاشق له يبتعد بعينه عمّا يبغض اللّه تعالى، حتى لا تكون من العيون المحرّمة عن النار، والتي ورد فيها في الحديث النبوي الشريف: **«حرّمت النار على عين غضّت عن محارم اللّه»**[٣].

لذا فإنه يلتفت إليها حتى لا تشغله عن ذكر اللّه تعالى بالنظر إلى المحرّمات كالنظر إلى النساء الأجنبيات بشهوة، وإلى محطات الفساد الفضائية، ومواقع الانترنت المفسدة، فتكون بذلك شاغلة عن ذكر اللّه تعالى، وهذا ما حذّر منه

(١) الطبرسي، مكارم الأخلاق، ط٦، قم، منشورات الشريف الرضي، ١٩٧٢م، ص ٣١٦.
(٢) ابن طاووس، الأمان من أخطار الأسفار، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، قم، ١٤٠٩هـ، ص ١٣٥.
(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٢٢، ص ١١٧.

أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «**ليس من الجوارح أقل شكراً من العين، فلا تعطوها سؤلها فتشغلكم عن ذكر الله**»[(١)].

٥- الذِّكر بالأذن

يُحكى أنّ الشاعر أبا نُؤاس سمع صبيين يتحاوران فقال أحدهما للآخر: أتدري ما قصد أبو نؤاس بقوله

ألا فاسقني خمراً وقل لي: هي الخمرُ
ولا تسقني سرّاً إذا أمكنَ الجهرُ

فقال صاحبه: إنّ الخمر حينما يراها الإنسان تلتذ بها عينه، وحينما يلمس كأسها تلتذ بها يده، وحينما يشمّها يلتذ بها أنفه، وحينما يشربها يلتذ بها لسانه، فبقيت أذنه فقال: وقل لي هي الخمرُ.

والخمر في مصطلح العرفاء هي منبع التذوّق الذي هو الإدراك الحضوري للذات من خلال المكاشفة.

(١) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ج٣، ص ٤٣٠.

وعليه فحينما يعشق القلب اللّه تعالى تستأنس الأذن بسماع كلماته وأسمائه وصفاته، فيكون سماع الأذن ذكراً ينص أمير المؤمنين عليه السلام بالحديث الوارد عنه: «**سامع ذكر اللّه ذاكرٌ**».

٦- الذِّكر بالصلاة

إنّ كل العبادات هي ذكر للّه تعالى، لكن الكتاب العزيز خصّص الصلاة بقوله عزّ وجل: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾[(١)]. وخصوصية الصلاة للذاكر للّه تعالى ترتبط بما للصلاة من ميزة بتطهير القلب وتنقيته من كل الشوائب. وهذا ما يظهر في الرواية التالية:

ورد أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أقبل على الناس فقال عليه السلام: «**أيُّ آية في كتاب اللّه أرجى عندكم؟**»

فقال بعضهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[(٢)].

---

(١) سورة طه، الآية ١٤.
(٢) سورة النساء، الآية ٤٨.

قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «حسنة وليست إياها».

فقال بعضهم: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ ﴾[1].

قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «حسنة وليست إياها».

وقال بعضهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ ﴾[2].

قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «حسنة وليست إياها». ثم أحجم الناس، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ما لكم يا معشر المسلمين؟» قالوا: لا والله ما عندنا شيء، قال: «سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: أرجى آية في كتاب الله ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾[3] وقرأ الآية كلها، وقال: يا علي، والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيرا إن أحدكم ليقوم إلى وضوئه

---

(١) سورة الزمر، الآية ٥٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٣٥.

(٣) سورة هود، الآية ١١٤.

فتساقط عن جوارحه الذنوب، فإذا استقبل [الله] بوجهه وقلبه لم ينفتل عن صلاته وعليه من ذنوبه شيء كما ولدته أمه، فإن أصاب شيئاً بين الصلاتين كان له مثل ذلك، حتى عدَّ الصلوات الخمس، ثم قال: يا علي، إنما منزلة الصلوات الخمس لأمتي كنهر جار على باب أحدكم، فما ظن أحدكم لو كان في جسده درن ثم اغتسل في ذلك النهر خمس مرات في اليوم، أكان يبقى في جسده درن؟ فكذلك والله الصلوات الخمس لأمتي».(١)

إذاً الفرق بين التوبة والصلاة أن التوبة تستر الذنوب، والصلاة تمحوها.

وبلحاظ أهمية الصلاة أكَّد رسول الله ﷺ على دور الاهتمام بالصلاة برفع الهمّ والحزن عن الإنسان فعنه ﷺ: **«ما من عبد اهتَّم بمواقيت الصلاة ومواضع الشمس، إلا ضمنت له الروح عند الموت، وانقطاع الهموم**

(١) الريشهري، محمد، الصلاة في الكتاب والسنة، تحقيق دار الحديث، ط١، دار الحديث، (لا،ت)، ص ١٤٤.

والأحزان، والنجاة من النار»[(١)].

والتأكيد على الاهتمام بمواقيت الصلاة؛ لأن الذاكر للّه تعالى يقدِّم اللّه على كل شي، فإذا جاء وقت الصلاة، فإنَّه لا يشغله عنها أيُّ شيء. فاللّه تعالى عنده دائماً هو الأوَّل على كل شيء.

من هنا ورد عن الإمام الصادق عليه السلام وهو يبيِّن التوازن في شخصية المؤمن في علاقته الخاصة باللّه تعالى وعمله في المجتمع: «خصلتان من كانتا فيه وإلا فأعزب، ثم أعزب، ثم أعزب! قيل: وما هما؟ قال عليه السلام: الصلاة في مواقيتها، والمحافظة عليها والمواساة»[(٢)].

ولذا كان أداء الصلاة في أول وقتها بنداً أساسياً في برنامج السالك إلى اللّه تعالى المريد وصولاً إلى الحقيقة وهو برنامج من ثلاثة عناوين:

١- فعل الواجبات وترك المحرّمات.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٨٠، ص ٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٩١.

٢- الإخلاص في العمل.

٣- الصلاة في أول الوقت.

الصلاة وحضور القلب

وحتى تكون الصلاة تعبيراً حقيقياً عن ذكر اللّه تعالى ينبغي أن يصاحبها حضور القلب فيها، فالإمام الصادق عليه السلام يقول فيما ورد عنه-: **«إذا أحرمت في الصلاة فأقبل عليها، فإنك إذا أقبلت أقبل اللّه عليك، وإذا أعرضت أعرض اللّه عنك، فربما لم يرفع من الصلاة إلا الثلث أو الربع أو السدس، على قدر إقبال المصلي على صلاته»**[١].

كيف تحضر قلبك في الصلاة

حينما تتحدّث مع إنسان تحبُّه، ألا تكون ملتفتاً إلى كل كلمة تقولها له، يعني ذلك أنَّ قلبك حاضر في مخاطبتك إياه.

---

(١) المصدر السابق، ج٨١، ص ٢٦٦.

لذا فإن الأساس في حضور قلبك هو شعورك بأنك تخاطب اللّه الحاضر السميع المجيب، ولإحراز هذا الحضور هناك نصائح وهي:

أولاً: فهِّم نفسك أهمية الصلاة

من قبيل:

أ- أنّها «**رأس الإسلام بعد الإقرار بالدين**»[١]

كما ورد عن الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم.

ب- وأنّ ثوابها للمصلّي يتجلّى بالتالي:

١- إذا قام في صلاته يتناثر عليه البر من أعنان السماء إلى مفرق رأسه.

٢- وتحفُّ به الملائكة من تحت قدميه إلى أعنان السماء.

٣- وملك ينادي أيُّها المصلي لو تعلم من تناجي ما انفتلت[٢].

(١) المصدر السابق، ج٧٤، ص ١٢٧.

(٢) النجفي، هادي، موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٣هـ، ج٦، ص ٩٦.

ثانياً: فرِّغ قلبك من غير الله تعالى

إنّ المانع من حضور القلب كثيراً ما يكون بتشتت الخيال وكثرة الوارد على القلب فيشعر كأن طائر الخيال يطير من غصن إلى غصن.

والسيطرة على طائر الخيال تكون من خلال تربية روحية خاصة يشعر الإنسان من خلالها بالحضور الإلهي الطارد لغيره.

إلا أنّ هناك بعض الأمور الآنيَّة يمكن أن تساعد على ضبط طائر الخيال وهي:

١- أن يبادر بحلّ مشاغله الآنية، فإذا كان ينتابه ألم في الرأس أو المعدة، فعليه قبل وقت الصلاة أن يحاول معالجة ذلك حتى لا يصرفه الألم عن التوجه إلى اللّه تعالى.

ورد عن أبي الدرداء: من فقه الرجل أن يبدأ بحاجته قبل دخوله في الصلاة، ليدخل وقلبه فارغ.

٢- أن يعقد النيّة على حفظ خياله.

٣- أن يركِّز نظره على ما ندب إليه الشارع ويبعده عن ما كرهه، كأن ينظر أثناء وقوفه إلى محل السجود، ويبتعد عن الملهيات كالصورة أمامه، وكذا الباب المفتوح ونحوهما.

٤- أن يتأمل في معاني ما يقول.

٥- أن يلتفت قبل ذلك إلى أمور اعتبرها الإمام زين العابدين عليه السلام أسباباً لعدم حضور القلب، وذلك في دعاء السحر المعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي الذي فيه بيان الحالة ثم أسبابها، ففيه:

اللهم إني كلما قلت قد تهيأت وتعبأت وقمت للصلاة بين يديك وناجيتك، ألقيت علي نعاساً إذا أنا صليت، وسلبتني مناجاتك إذا أنا ناجيت! ومالي كلما قلت قد صلحت سريرتي، وقرب من مجالس التوابين مجلسي، عرضت لي بلية أزالت قدمي، وحالت بيني وبين خدمتك!

١- سيدي، لعلَّك عن بابك طردتني، وعن خدمتك نحيتني !

٢- أو لعلَّك رأيتني مستخفًّا بحقك فأقصيتني!

٣- أو لعلَّك رأيتني معرضاً عنك فقليتني!

٤- أو لعلَّك وجدتني في مقام الكاذبين فرفضتني !

٥- أو لعلَّك رأيتني غير شاكر لنعمائك فحرمتني !

٦- أو لعلَّك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني !

٧- أو لعلَّك رأيتني في الغافلين فمن رحمتك آيستني !

٨- أو لعلَّك رأيتني آلف مجالس البطالين فبيني وبينهم خليتني !

٩- أو لعلَّك لم تحبّ أن تسمع دعائي فباعدتني !

١٠- أو لعلَّك بجرمي و جريرتي كافيتني !

١١- أو لعلَّك بقلة حيائي منك جازيتني!.

ونختم الكلام عن حضور القلب بالصلاة بما ذكره الإمام الخميني في كتابه تحرير الوسيلة: «**ينبغي للمصلي إحضار قلبه في تمام الصلاة أقوالها وأفعالها، فإنه**

لا يحسب للعبد من صلاته إلا ما أقبل عليه، ومعناه الالتفات التام إليها وإلى ما يقول فيها، والتوجه الكامل نحو حضرة المعبود جل جلاله، واستشعار عظمته وجلال هيبته، وتفريغ قلبه عما عداه، فيرى نفسه متمثلا بين يدي ملك الملوك عظيم العظماء مخاطباً له مناجياً إياه، فإذا استشعر ذلك وقع في قلبه هيبة فيهابه، ثم يرى نفسه مقصِّراً في أداء حقه فيخافه، ثم يلاحظ سعة رحمته فيرجو ثوابه، فيحصل له حالة بين الخوف والرجاء، وهذه صفة الكاملين»[١].

الذِّكر بمبايعة الوليّ بقلب صادق

بما أنّ اللّه تعالى حَصَر اطمئنان القلب بذكر اللّه تعالى بمقتضى تقديم الجار والمجرور (بذكر اللّه) على الفعل (تطمئن)، فإن حديث القرآن عن أي عمل يولِّد سكينة القلب هو حديث عن ذكر اللّه تعالى.

(١) الخميني، روح اللّه، تحرير الوسيلة، ط٢، النجف الأشرف، دار الكتب العلمية، ١٤٠٩هـ، ج١،ص ١٥٥.

على هذا الأساس نقرأ قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾[١]. فالآية تفيد أن سكينة وطمأنينة قلوب هؤلاء المؤمنين كانت بفعل مبايعتهم لرسول الله بقلوب صادقة.

ولا يخفى أن مبايعة الولي وأتباعه تضفي طمأنينة القلب بدءاً من كونه يحدِّد تكليف المؤمنين بشكل واضح، فلا يقلق المؤمنون في مسارهم طالما هم يمتثلون التكليف.

وهذه السكينة هي نفسها الطمأنينة التي يمنحها الله تعالى للقائد والمجاهدين في ساحة القتال أو أية مواجهة حينما يكونون سائرين في طريق امتثال التكليف الإلهي.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى

(١) سورة الفتح، الآية ١٨.
(٢) سورة التوبة، الآية ٢٦.

ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾[١].

اللهم اجعلنا دائماً من الذاكرين المطمئنين ليكون نداؤك لنا عند الرحيل ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾[٢].

والحمد لله رب العالمين

---

(١) سورة الفتح، الآية ٢٦.

(٢) سورة الفجر، الآية ٣٠.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

-أ-

٢. الأمين، محسن، أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، (لا، ط)، بيروت، دار التعارف، (لا، ت).

٣. ابن طاووس، الأمان من أخطار الأسفار، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام، لإحياء التراث، ط١، قم، ١٤٠٩هـ.

٤. ابن طاووس، اقبال الاعمال، (لا،ط)، بيروت، (لا،ت).

-ب-

٥. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ.

-ت-

٦. الصدوق، محمد بن علي، التوحيد، تحقيق هاشم الحسنيي الطهراني، (لا، ط)، قم، جماعة المدرسين (لا،ت).

٧. المشهدي، محمد، تفسير كنز الدقائق، (لا،ط) قم، ١٤٠٧هـ.

٨. الخميني، روح اللّه، تحرير الوسيلة، ط٢، النجف الأشرف، دار الكتب العلمية، ١٤٠٩هـ.

-ح-

٩. شبَّر، عبداللّه، حقّ اليقين في معرفة أصول الدين، ط١، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٤هـ.

١٠. الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد اللّه، حلية الأولياء وطبقة الأصفياء، (لا، ط)، بيروت، دار الفكر، (لا، ت).

-س-

١١. الحسني، سيرة المصطفى،(لا،ط) منشورات دار القلم، بيروت، (لا،ت).

١٢. الميرزا التبريزي، السير إلى الله، تحقيق ونشر الموسوي، قُم.

١٣. جريدة السفير، ٣٠ حزيران، ٢٠٠٤م.

-ش-

١٤. المازندراني، شرح أصول الكافي، تحقيق أبي حسن الشعراني، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

-ص-

١٥. الريشهري، محمد، الصلاة في الكتاب والسنة، تحقيق دار الحديث، ط١، دار الحديث، (لا،ت)، ص ١٤٤.

-ع-

١٦. مطهري، مرتضى، العقل والقلب، ط٣، بيروت، مركز الإمام الخميني الثقافي، ٢٠٠٨م.

-غ-

١٧. الميرزا التقي، غنائم الأيام، تحقيق عباس تبريزيان، ط١، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ج٥، ١٤٢٠هـ.

-ف-

١٨. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، ط١، مصر، الميمنية، ١٣٢٤هـ.

-ق-

١٩. الجزائري، نعمة اللّه، قصص الأنبياء، (لا،ط)، منشورات الشريف الرضي، قم، (لا،ت).

-ك-

٢٠. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق علي أكبر غفاري، ط٤، قم، دار الكتب الإسلامية (لا،ت).

-ل-

٢١. ابن منظور، محمد بن مكرَّم، لسان العرب، (لا،ط)، بيروت، دار صادر، (لا،ت).

-م-

٢٢. الطريحي، مجمع البحرين، تحقيق أحمد الحسيني، ط٢، قم، مكتبة النشر والثقافة الإسلامية، ١٤٠٨هـ.

٢٣. الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ط١، بيروت، دار الحديث للطباعة والنشر، ١٤٢١ هـ.

٢٤. الشهيد الثاني، مسكن الفؤاد، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، قم، ١٤٠٧ هـ.

٢٥. الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، بيروت، ١٤٠٨هـ.

٢٦. الريشهري، محمد، موسوعة العقائد الإسلامية، ط١، قم، دار الحديث، ١٤٢٥هـ، ج٣، ص ٧٦.

٢٧. النجفي، هادي، موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٣هـ.

٢٨. الشاهرودي، علي النمازي، مستدرك سفينة البحار، تحقيق حسن بن علي النمازي، (لا،ط)، قم، مؤسسة الناشر الإسلامي، ١٤١٩هـ.

٢٩. الطبرسي، مكارم الأخـلاق، ط٦، قم، منشورات الشريف الرضي، ١٩٧٢م.

- ن -

٣٠. الإمـــام علـي، نـهـج الـبـلاغـة، جـمـع الـشـريف الرضي،تحقيق محمد عبده، ط١، قم، دار الذخائر (لا،ت).

الفهرس

صدر للمؤلف

١. حقيقة الجفر عند الشيعة، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٢. حقيقة مصحف فاطمة عند الشيعة، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر. حائز على جائزة أفضل كتاب لعام ٢٠٠٣م، في مهرجان الولاية الدوليّ في إيران.

٣. ولاية الفقيه، بين البداهة والاختلاف، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر. رسالة ماجستير حازت على درجة ممتاز، مع التنويه والتوصية بالنشر.

٤. دروس في علم الدراية، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر. معتمد في المناهج الدراسية الحوزويّة.

٥. وليالٍ عشر (من وحي عاشوراء)، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٦. برقية الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسيّة:

The Telegram of Hussein (pbuh).

Le Télégramme d’Al-Houssein (Qu’Allah le salue).

٧. وأتممناها بعشر (من وحي عاشوراء)، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٨. المسائل المصطفاة في أحكام الطهارة والصلاة فوز دو ايغواسو.

٩. أحكام النساء. فوز دو ايغواسو.

١٠. التبليغ من وحي التجربة، قمّ.

١١. Paulo em busca da verdade («باولو» الباحث عن الحقيقة - باللغة البرتغالية).

١٢. A ORACAO NO ISLAM «Assalat» (الصلاة في الإسلام باللغة البرتغالية).

١٣. مختصر الواجبات في الإسلام (UM RESUMO DOS DEVERES NO ISLAM)

١٤. خيوط القبعة، بيروت، دار الصفوة.

١٥. حائك القبعة (الإمام السيّد عبد الحسين شرف الدين)، بيروت، دار الصفوة.

١٦. التكفير، ضوابط الإسلام وتطبيقات المسلمين، دار الأمير للثقافة والعلوم.

١٧. قافلة البشرية، من سفينة نوح إلى دولة المهديّ عجّل الله فرجه الشريف، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

١٨. هذا رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

١٩. محاضرات في الثقافة الإسلامية بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مجموعة يسألونك، وتضم:

٢٠. يسألونك عن اللّه، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسيّة:

They ask you about Allah.

Ils t'interrogent à propos Allah.

٢١. يسألونك عن الأنبياء عليهم السلام، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسية:

They ask you about prophets

Ils t'interrogent sur les prophetes

٢٢. يسألونك عن الأئمة عليهم السلام، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسية:

They ask you about Imams.

ils t'interrogent sur les imams

٢٣. يسألونك عن الوليّ، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٢٤. يسألونك عن التقليد، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسيّة (مركز نون للتأليف والترجمة):

They ask you about Imitation.

Il t’interrogent sue le Taqlid.

٢٥. يسألونك عن القبر، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية:

They ask you about Death & the Barrier (The Call for Departure)

٢٦. يسألونك عن القيامة، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسية:

They Ask You about Resurrection

Ils t'interrogent sur la resurrection

مجموعة تعارفوا، وتضم:

٢٧. دليل العروسين بين الخطوبة والزفاف، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية:

Bride & Bridegroom Manual From Engagement to Marriage

٢٨. سعادة الزوجين في ثلاث كلمات، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٢٩. ٣ حقوق لحياة زوجيّة ناجحة، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٠. كيف تجعل ولدك صالحًا؟ بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣١. كيف نتواصل مع الناس؟ بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٢. كيف نبني مجتمعًا أرقى؟ بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٣. آية الوصايا العشر، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مجموعة يزكّيهم، وتضم:

٣٤. ميزان السير والسلوك، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٥. برنامج السير والسلوك، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٦. هكذا تكون سعيدًا، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر. (بين يدي القارىء).

مترجم إلى الإنكليزية: Finding Happiness.

٣٧. كيف ترجع كما ولدتك أمك؟ بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٨. شهر الله آدابه - مناسباته - أولياؤه، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٩. لا تَقرَبُوا، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٤٠. كيف نتواصل مع الله، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.